الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة محمد البشير الإبراهيمي برج بوعريريج
كلية الآداب واللغات- قسم اللّغة والأدب العربي-
تخصص: لسانيات عامة.

عنوان المذكرة:

الحجاج في بيان إعجاز القرآن لأبي سليمان الخطّابي (مقاربة تداوليّة)

مذكرة مقدمة لاستكمال متطلبات نيل شهادة الماستر (ل م د)

إعداد :

- عبد النور بونقطة
- عبد الحكيم حموش

أعضاء لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الدرجة العلمية	الصفة
البشير عزوزي	أستاذ محاضر (أ)	رئيسا
عبد السميع موفق	أستاذ	مشرفاً ومقرّراً
ياسين بغورة	أستاذ	عضوا مناقشا

السنة الجامعية:(1445-/1446ه) – (2025/2024م)

* ملحق بالقرار رقم ....1082.... المؤرخ في ..... 27 ديسمبر 2020 .....
الذي يحدد القواعد المتعلقة بالوقاية من السرقة العلمية ومكافحتها

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

مؤسسة التعليم العالي والبحث العلمي:

نموذج التصريح الشرفي
الخاص بالالتزام بقواعد النزاهة العلمية لإنجاز بحث

أنا الممضي أسفله،
السيد(ة): بوقطة عبد النور الصفة: طالب، أستاذ، باحث طالب
الحامل(ة) لبطاقة التعريف الوطنية رقم: 114229153 والصادرة بتاريخ 2025/02/05
المسجل(ة) بكلية / معهد الآداب واللغات قسم اللغة والأدب العربي
والمكلف(ة) بإنجاز أعمال بحث (مذكرة التخرج، مذكرة ماستر، مذكرة ماجستير، أطروحة دكتوراه)،
عنوانها: الحجاج في كتاب بيان الإعجاز لأبي سليمان الخطابي، مقاربة تداولية

أصرح بشرفي أني ألتزم بمراعاة المعايير العلمية والمنهجية ومعايير الأخلاقيات المهنية والنزاهة الأكاديمية المطلوبة في إنجاز البحث المذكور أعلاه .

التاريخ: 2025/06/15

توقيع المعني (ة)

*ملحق بالقرار رقم ....1082.... المؤرخ في ..... 27 ديسمبر 2020

الذي يحدد القواعد المتعلقة بالوقاية من السرقة العلمية ومكافحتها

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

مؤسسة التعليم العالي والبحث العلمي:

نموذج التصريح الشرفي

الخاص بالالتزام بقواعد النزاهة العلمية لإنجاز بحث

أنا الممضي أسفله،

السيد(ة): عبد الحكيم حمدوش الصفة: طالب، أستاذ، باحث طالب

الحامل(ة) لبطاقة التعريف الوطنية رقم 114552458 والصادرة بتاريخ 2019/05/13

المسجل(ة) بكلية / معهد الآداب واللغات قسم اللغة العربية وآدابها

والمكلف(ة) بإنجاز أعمال بحث (مذكرة التخرج، مذكرة ماستر، مذكرة ماجستير، أطروحة دكتوراه)،

عنوانها: الحجاج في بيان إعجاز القرآن لأبي سليمان الخطابي مقاربة تداولية

أصرح بشرفي أني ألتزم بمراعاة المعايير العلمية والمنهجية ومعايير الأخلاقيات المهنية والنزاهة الأكاديمية المطلوبة في إنجاز البحث المذكور أعلاه .

التاريخ: 2025/06/15

توقيع المعني (ة)


بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وعرفان

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد
وعلى آله وصحبه أجمعين... وبعد

نشكر الله سبحانه وتعالى على نعمه العظيمة ونحمده على فضله علينا بإتمام هذا العمل ونرجو الله أن ينفعنا به وكل من يطّلع عليه.

ويسرنا أن نتقدم بأوفر وأبلغ معاني الشكر لكل من ساعدنا في إعداد هذا العمل ونخص بالذكر الأستاذ المشرف الدكتور

- موفق عبد السميع -

الذي لم يبخل علينا بنصائحه وإرشاداته طيلة قيامنا بهذا العمل،
كما نشكر كل من ساعدنا لإتمام هذا العمل
سواء من قريب أو بعيد.

إهداء

أشكرك وأحمدك ربي حمدا كثيرا، ولك الحمد ولك الشكر.

أهدي عملي هذا إلى من سار معي منذ بداية الطريق حتى هذه اللحظة وكان دافعا لي لكل نجاح، إلى من بذل كل غالي ونفيس ليسعدني في هذه الحياة، الى مصدر الأمان وراحة البال، إلى

والدي الحبيب.

إلى روح القلب ونبض الحنان، إلى بلسم الجراح إلى من صبرت وكافحت معي في هذه الحياة، إلى أعظم إنسانة في حياتي، إلى

والدتي الحبيبة.

إلى كل إخوتي وأخواتي

وإلى كل الأهل والأقارب ....

إلى كل الأصدقاء والأحباب ....

إلى كل من ساعدني

سواء من قريب أو بعيد

عبد النور

إهداء

إلى من كان رضاها منيرا لدربي ومصدر سعادتي،،،،،

أمي الحبيبة

إلى أول من صنع مني رجلا،،،،،،،،،،،،،،،

والدي الغالي

إلى مصدر عزتي وقرة عيني،،،،،،،،،،،،أمي الحنونة

إخوتي وأخواتي

إلى كل الأهل والأقارب

إلى كل الأصدقاء والأحباب

إلى كل هؤلاء أهدي ثمرة جهدي

عبد الحكيم

مقدمة

مقدمة:

مقدمة:

تعدّ دراسات الإعجاز القرآني من أعرق الحقول المعرفية في التراث العربي الإسلامي، حيث أسهمت بشكل جوهري في تشكيل المدونة اللغوية والنقدية والأدبية على مرّ العصور. وقد قامت هذه الدراسات على أساس النص القرآني الكريم باعتباره نصًا بلاغيًا بامتياز، تحدّى الله سبحانه وتعالى به أهل الفصاحة والبلاغة من العرب أن يأتوا بسورة من مثله. وفي هذا السياق، تبرز رسالة الخطابي "بيان إعجاز القرآن" كإحدى الإسهامات المتميزة في هذا المجال، حيث تتميز بثراء آلياتها الحجاجية وتنوع ظواهرها التداولية في إثبات إعجاز النص القرآني.

وتكمن أهمية هذا الموضوع في استثمار الدراسات الإعجازية التراثية في إثراء المناهج النقدية المعاصرة، خاصة في مجال الحجاج والبلاغة الجديدة، والكشف عن شخصية علمية عبقرية جمعت بين علوم وفنون متعددة أضافتها إلى الرصيد المعرفي للأمة العربية الإسلامية، وإثبات إمكانية قراءة التراث العربي قراءة معاصرة دون تكلف في التأويل، لكون الدراسات الحديثة النقدية تحوز على مهارات فنية راقية تحقق متعة فكرية وجمالية ووجدانية في دراسة التراث.

حيث يهدف هذا البحث إلى الكشف عن تمثلات الحجاج وآلياته في رسالة الخطابي "بيان إعجاز القرآن"، وتحليل العلاقة بين الدرس الإعجازي والنقد من جهة، والحجاج من جهة أخرى، وكذلك دراسة الآليات الحجاجية اللغوية والبلاغية المعتمدة في الرسالة، بإثبات قدرة المدونة الإعجازية على استيعاب مفاهيم وتقنيات الحجاج المعاصرة، وإظهار إمكانية استثمار الدراسات التراثية في المقاربات النقدية الحديثة، من أجل تقديم نموذج تطبيقي لقراءة النصوص التراثية وفق المنهج التداولي.

وبحسب الطرح السابق يمكن صياغة الإشكالية الأساسية لهذا البحث في السؤال التالي:

ما تمثلات الحجاج في رسالة الخطابي "بيان إعجاز القرآن" وكيف يمكن مقاربتها تداوليًا؟

وهذه الإشكالية تتفرع بدورها إلى سؤالين اثنين هامّين هما كالتالي:

ما أنواع الآليات الحجاجية اللغوية والبلاغية المعتمدة في رسالة الخطابي؟

إلى أي مدى استطاعت الرسالة استيعاب مفاهيم الحجاج وتقنياته الحديثة، وهل يمكن اعتبارها ميدانًا خصبًا للدرس الحجاجي في بعده التداولي؟

ومن أجل الإجابة عن هذه التساؤلات يمكن اتباع إجراءات المقاربة التداولية مع الاستعانة بآليات الحجاج والوصف والتحليل الأسلوبي في التحليل، وقد مكّن هذا التضافر الإجرائي الآداتي من الإلمام بمختلف جوانب الدراسة وتحليلها تحليلاً علميًا دقيقًا.

ووفق المقاربة التداولية يمكن اتباع الخطة المنهجي التالية لمعالجة الموضوع بدقة وموضوعية، وتشتمل هذه الخطة مدخلا نظريا حول بيان الإعجاز بين النقد والحجاج عند الخطّابي، ثم يليه الفصل الأول الذي يختص بدراسة آليات الحجاج اللغوي، ويحلل مختلف الروابط والعوامل الحجاجية التي اشتملت عليها رسالة الخطابي، وبعده يأتي الفصل الثاني الذي يتناول آليات الحجاج البلاغي، ويتطرق إلى الوسائل البلاغية التي أسهمت في إثبات حجاجية إعجاز النص القرآني، وبعده تأتي الخاتمة تلخص أهم النتائج التي توصّل إليها البحث.

وذلك بالاعتماد على مجموعة من المصادر والمراجع المتخصصة، أهمها على سبيل المثال لا الحصر: " مداخل إعجاز القرآن " لمحمود شاكر" و "نظرية الإعجاز القرآني" لأحمد سيد عمار و"الإعجاز والحجاج" لعماري مالك و"الفكر اللساني التداولي" لمحمد عديل عبد العزيز و"مناهج التحليل البلاغي عند علماء الإعجاز" لعبد الله أحمد بانقيب و"الخطاب الحجاجي في مؤلفات علماء الإعجاز" لليلى محمد حمد الشمري.

وقد سبق إلى مثل هذه الدراسات بعض لباحثين منها: رسالة ماجستير لسهيلة سلطاني حول "ملامح التفكير التداولي في كتاب إعجاز القرآن للباقلاني"، ورسالة دكتوراه لعماري مالك حول "الإعجاز والحجاج"، ومقالات متخصصة لرامي جميل أحمد سالم وليلى محمد حمد الشمري.

وقد اعترضت بعض الصعوبات سبيل إنجاز هذا البحث منها: ضيق الوقت وكثرة المسؤوليات المهنية والارتباطات الاجتماعية التي حالت دون التفرغ الكامل لإعداد البحث وإعطائه ما يتطلّبه من وقت واهتمام، شحّ المراجع القريبة جدّا من الموضوع.

وفي نهاية هذه المقدمة لا يفوتنا أن نتوجه بأسمى عبارات الشكر والامتنان لأستاذنا المشرف عبد السميع موفق على صبره ومتابعته، وعلى كل ما قدمه لنا من دعم ومعونة علمية قيمة لإتمام هذا البحث.

مدخل

المدخل: الإعجاز بين النّقد والحجاج

أوّلا/ الإعجاز والنّقد:

اشتركت عدّة روافد في نمو النّقد العربي واتّجاهاته نحو النّضج، فرافد يمثّله الإرث الثّقافي اليوناني ورافد يمثّله الإرث الشّرقي من فارسيّ وهندي، ورافد يمثّله علماء اللّغة خاصة بعد ظهور الدّراسات النّحويّة، ورافد يمثّله علماء الإعجاز الذين أسهموا بشكل لافت في تطوّر النّقد الغربي، وما يهمّنا في هذا البحث علاقة إعجاز القرآن بالنّقد الغربي، وكيف أثّرت دراسات الإعجاز في حركة النّقد العربي.

وقبل أن نجيب عن هذا السّؤال نجد أنفسنا مضطرّين لتعريف الإعجاز القرآني.

1- تعريف الإعجاز القرآني:

أ/ لغة: ورد في لسان العرب لابن منظور : العجزُ نقيضُ الحزم، عجز عن الأمر يعجز وعجز عجزًا فيهما، وَرَجُلٌ عَجِزٌ و عَجُزٌ ، عاجزٌ، ومرأة عاجزٌ: عاجزة عن الشّيء، ويقال أعجزت فلانا إذا ألفيته عاجزًا ...، والمعجزة: العجز قال سيبويه: هو المعجز والمعجز الكسر على النّادر والفتح على القياس لأنّه مصدر، والعجز : الضّعف ... وفي حديث ابن عمر ولا تلثوا بدارٍ معجزة، أي لا تقيموا ببلدة تعجزون فيها عن الاكتساب والتّعيّش ....[1]

وفي القاموس المحيط : العجزُ وَالمُعْجِزُ و المعجزةُ ونفتح جميعها و العجزان محرّكة ز العجوز بالضمّ : الضَّعف، وأعجزه الشيء فاته، ... والتّعجيز التّثبيطُ و النّسبة للعجز ... ومعجزة النّبيّ صلى الله عليه وسلّم : ما أعجزالخصم عند التّحدّي[2].

ويذكر محمود شاكر: الإعجاز مصدر قولنا في كلّ أمر يريد الرّجل أن يفعله أو يأتيه ويسقط عندئذ في العجز، وهو عدم القدرة علىفعل ما يريد، تقول: أعجزه هذا الأمر يعجزه إعجازا، أي: انقطعت قوّته دونه فوقع في العجز غير مطيق لفعله[3].

ممّا سبق يتّضح أنّ دلالة العجز لا تكاد تخرج عن القصور عن فعل الشيء وعدم القدرة على القيام به .

ب/ اصطلاحًا :

يرى مصطفى صادق الرّافعي أنّ الإعجاز شيئان: ضعف القدرة الإنسانية في محاولة المعجزة ...ثمّ استمرار هذا الضَّعف على تراخي الزّمن وتقدّمه، فكأنّ العالم كلّه في العجز إنسان واحد ليس له غير مدّته المحدودة بالغة ما بلغت، فيصير الأمر المعجز إلى ما يشبه في الرّأي مقابلة أطول النّاس عمرًا على مداه كلّه، فإنّ المعمّر دهرًا صغيرًا، وأنّ لكليهما مدّة في

[1] - ابن منظور: لسان العرب ، دار الحديث القاهرة، مصر، 2003، مج6، (د-ط)، ص 691
[2] - الجوهري: الصّحاح، ، دار الحضارة العربيّة، بيروت، لبنان، د ت، مج2، ط1، ص81
[3] - محمود شاكر: مداخل إعجاز القرآن، مطبعة المدني- القاهرة، مصر، ،2002، ط1، ص16

العمر هي من جنس الأخرى، غير أنّ واحدة منهما قد استغرقت الثانية فإن شاركتها الصّغرى إلى حدّ ما فما عسى أن يشركهما فيما بقي[1].

وجاء في مباحث علوم القرآن أنّ الإعجاز: إثبات العجز و العجز في التّعريف: اسم للقصور عن فعل الشيء، وهو ضدّ القدرة، وإن أثبت الإعجاز ظهرت قدرة المعجز، والمراد بالإعجاز هنا إظهار صدق النّبي صلى الله عليه وسلّم في دعوى الرّسالة بإظهار عجز العرب عن معارضته في معجزته الخالدة وهي القرآن- وعجز الأجيال بعدهم[2].

ممّا سبق نجد أنّ الإعجاز اصطلاحا لا يخرج عن عجز الإنسان أو عدم قدرته على الإتيان بمثل القرآن واستمرار هذا العجز عبر الزّمان والمكان، وهذا برهان قاطع على صدق نبوّة الرّسول صلى الله عليه وسلّم، وعجز العرب عن معارضته، مع ما لهم من مكنة في البلاغة والفصاحة والبيان .

2- الإعجاز والنّقد

يعدّ النّقد الأدبي من جملة المعارف والعلوم التي كان القرآن الكريم دافعا لها نحو النّهضة والتّطوّر بل حتى الظّهور، وتأثيره في النّقد يعود إلى بروز دراسات إعجاز القرآن باعتبار البيان ومختلف العناصر الحجاجيّة التي برفع من قيمة النّصّ الادبيّ، وقد وصلت هذه الدّراسات إلى نتيجة فحواها أنّ النّصّ القرآنيّ يفوق أيّ نصّ نثري من حيث القيمة الفنّية والجمالية. ودراسات الإعجاز المعنية بالقول هنا ليست تلك التي تبحث في جميع أوجه الإعجاز من إحاطة بالغيب أو الصّرفة أو غيرها، بل تلك التي تبحث عن إعجازه من حيث نظمه، فهي نقطة التقاء الإعجاز بالنّقد.

وقد قامت في آخر القرن الثّالث الهجري وعلى امتدت القرن الرابع الهجري دراسات مستغلّة لإعجاز القرآن، اهتمّت بنظمه ولعلّ أشهر وأفضل من تناول هذه الدّراسة بأسلوب علميّ دقيق ثلاثة علماء هم : الرّماني في "النّكت في إعجاز القرآن"، والخطّابي في "بيان إعجاز القرآن"، والباقلاني في "إعجاز القرآن"[3].

وتقاطعت دراسات هؤلاء الأعلام بدراسة من عرفوا بالنّقد الذين أثروا المدوّنة النّقديّة بنتائج أقلّ ما يوصف أنّه بلغ مراحل متقدّمة من النّضج بعد أن اتّكأ على باكورة المؤلّفات النّقديّة كطبقات الشّعراء لابن سلام الجمحي، والبيان والتّبيين للجاحظ، والشّعر والشّعراء لابن قتيبة، ليشتدّ عود النّقد بمؤلّفات كالوازنة للآمدي، والوساطة للقاضي الجرجاني، ونقد الشّعر لقدامة بن جعفر، غير أنّ هذه المؤلّفات نقدا خالصا موضوعه نصوص البشر

[1]- ينظر، مصطفى صادق الرّافعي: تاريخ آداب العرب، دار الكتاب العربي، بيروت، 1999،ج2، ط3، ص

[2]- ينظر، محمود شاكر: مداخل إعجاز القرآن، ص17

[3]- ينظر، أحمد سيّد محمّد عمّار: نظريّة الإعجاز القرآني وأثرها في النّقد العربيّ القديم، دار الفكر المعاصر، لبنان، 1421ه/ 2000م، ط1،ص78

منظومها ومنثورها، ليأتي بعدها علماء الإعجاز الذين قامت بحزثهم بدورها فأفادت من نقد الأدب، وأفاد النّقد منها[1].

وممّا يحسب على علماء الإعجاز أنّهم أخذوا أدوات نقدية كشفوا بها سرّ بلاغة القرآن وتفوّقه على نصوص الأدب العاديّة، فرأى الخطّابي أنّ أجناس الكلام مختلفة ومراتبها في نسبة التّبيان متفاوتة ودرجتها في البلاغة متباينة غير متساوية، فمنها البليغ الرّصين الجزل ومنها الفصيح القريب السّهل، ومنها الجائز الطّلق الرّسل، وهذه أقسام الكلام الفاضل المحمود دون النّوع الهجين المذموم، الذي لا يوجد منه في القرآن شيء منه البتّة[2].

ثمّ يأتي الخطّابيّ إلى جهة اللّفظ والمعنى والسّبك فيأتي في هذا المقام بكلام صار نواة نظريّة النّظم فيمابعد حين قال: وإنّما يقوم الكلام بهذه الأشياء الثلاثة : "لفظ حامل ومعنى به قائم ورباط لهما ناظم ..." فنفهم أنّ القرآن صار معجزا لأنه جاء بأفصح الألفاظ في أحسن نظوم التأليف مضمنا أصحّ المعاني"[3].وهكذا تعدّ دراسة الخطابي لإعجاز القرآن انتقالا واعيا إذ بذلك "أعطى للنّقد زادا قويّا، وسلاحا ثابتا يستعمله النّاقد ليكشف به ما يستعصي عليه من قضايا نقديّة خاصة بالجانب اللّغوي، وأثر الكلمة في النّصّ الأدبي وعلاقة المعاني بالكلمات والرابط العضوي القائم بينها"[4].

وفي النّصف الثّاني من القرن الرّابع الهجري يبرز الباقلاني كدارس نوعيّ لا يجارى في دراسات الإعجاز القرآني غير أنّه كان أعرف ممّن سبقه من علماء الإعجاز بالنّقد وآلياته إذ كان ملمّا بكلّ القضايا النّقديّة الجديدة حتّى عصره، كما أنّه سار وفق منهج نقدي واضح فقام بتحليل قصيدتي امرؤ القيس وقصيدة البحتري مقابلا لهما الكلام من القرآن الكريم متوقّفا على سورة النّمل [5]، ليصل بعد المقانة أنّ القرآن تفوّق بنظمه وتآلف معانيه وترابط صوره، "ومن أهمّ المسائل النّقديّة التي أضافها: الوحدة الفنّية في نظم القرآن من خلال تناوله للصورة أو القصيدة كاملة أو أغلبها، محاولا أن يبيّن أنّ الإعجاز منصبا على القرآن جملة مرجعا الفضل في ذلك إلى النّظم وروعته"[6].

وهكذا يكون الباقلانيّ قد أذكى روح النّقد بنفحة جعلته يعتمد على معيار جمالي جديد هو وحدة العمل الأدبي أو ما يطلق عليه في الدراسات المعاصرة بالوحدة الموضوعيّة وهكذا لم يكن دوره متوقّفا على وضع الأصول النّقديّة والمقاييس الجمالية، وإنّما نراه بعد هذا كلّه

---

[1]- ينظر، أحمد سيّد محمّد عمّار: نظريّة الإعجاز القرآني وأثرها في النّقد العربيّ القديم،ص179

[2]- ينظر، الخطّابي: بيان إعجاز القرآن، تحقيق محمد خلف الله أحمد ومحمد زغلول سلام، دار المعارف، مصر، د-ت، ط3، ص26

[3] - ينظر، الخطّابي: بيان إعجاز القرآن، ص 27

[4]- ينظر، الطّاهر حلّيس: اتّجاهات النّقد الأدبي وقضاياه في الفرن الرابع الهجري ومدى تأثّرها بالقرآن، منشورات جامعة باتنة، الجزائر، 1986، د ط، ص180

[5]- ينظر، سهيلة سلطاني، ملامح التّفكير التداولي في كتاب إعجاز القرآن للباقلاني، مذكرة ماجستير، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، السنة الجامعية 2013-2014، ص14

[6]- ينظر، سهيلة سلطاني: ملامح التّفكير التداولي في كتاب إعجاز القرآن للباقلاني، ص15

يأخذ دور الموجّه، يرسم الطّريق لمن يريد البصر بوسائل النّقد الأدبي حتّى يسلم نظره ويصحّ حكمه[1]".

هذه نماذج لدراسات الإعجاز التي تلاقحت مع الدّراسات النقديّة الصّرفة ليكون الهدف الأسمى إنتاج مقاربة تعمل على تحليل ودراسة الأثر الأدبي دراسة موضوعيّة تربط أدواته وإجراءاته بالنّص النّموذج الخالد نصّ القرآن الكريم، فكلّ من يمعن النّظر في دراسة النّقد الأدبي يجد نفسه مضطرا إلى مطالعة دراسات الإعجاز القرآني ويدرك أن ملكة النّقد إنّما نبتت جذورها في صميم دراسات الإعجاز، ونمت وترعرعت أغصانها في ظلال القرآن، فالقرآن الكريم صاحب الفضل الأكبر في تربية ملكة النّقد الأدبي عند العرب وتطوّرها"[2].ولا تزال تلك الدّراسات الإعجازيّة وغيرها ممّا لم يذكر في هذا البحث قادرة على إفادة ناقد اليوم من جهات عدّة إذا ما أعيد قراءتها قراءة واعية متّزنة بعيدة عن الإشادة والتّمجيد، فمن الأمانة العلمية عدم " إغفال المجهودات النّقديّة الجبارة التي أسس لآلية التّفكير النّقدي العربي من ذلك أراد الباقلاني وتوجيهات الخطّابي وأفكار الرّماني ونظرية الجرجاني[3]"

ثانيا : الإعجاز والحجاج

بعد المرور على تعريف الإعجاز القرآني يأتي تعريف الحجاج لمرحلة تفرض حضورها في هذا البحث لاستجلاء مظاهر علاقة الرسالة الاعجازية بالحجاج.

تعريف الحجاج :

أوّلاً : لغةً :

جاء في لسان العرب لابن منظور، يُقالُ حاججته، أحاجّه حجاجًا حتّى حججته : أي غلبته بالحجج، والحجُّ : القصد، وحجّ الينا فُلانٌ أي قدم، و التّحاجّ : التخاصم و الحجة : الدليل و البرهان[4]. بهذا التعريف يكون الحجاج في مجمل معناه اللغوي على المنازعة و المغالبة و المخاصمة و المجادلة التي تحدث بين الطرفين يحاول كل منهما التأثير في الآخر باعتماد سلاح الحجة و الدليل و البرهان.

ثانيا : اصطلاحا :

لم يقف الدّارسون عند مفهوم موحد للحجاج، إذ جاءت تعريفاتهم مختلفة لكنها متفاربة من حيث الوظيفة الأساسية للحجاج. و الحقيقة أنه "لا يخلو أي نص أو خطاب من الحجّة، فنجدها في التواصل العادي و التواصل النوعي كما نجدها في الحجاج و الجدل، وهي تنصبغ عادة بنوع الخطاب الذي تأتي فيه، فإن كان الخطاب بلاغيا كانت بلاغية لغوية، وكل حجاج

[1] - ينظر، صلاح الدين محمّد عبد التّواب: النّقد الأدبي، دراسات نقديّة وأدبية حول إعجاز القرآن، دار الكتاب الحديث، القاهرة، 2003، ص132

[2] - ينظر، أحمد سّيد محمّد عمار: نظرية الإعجاز القرآني وأثره في النّقد العربي القديم، ص183.

[3] - ينظر، هدى عماري: جملة التّواصليّة، جامعة المديّة، عدد خاص فيفري 2015،ص114

[4] - ابن منظور: لسان العرب ط3، مادة (حجج) ص576.

يستمد معناه و حدوده و وظائفه من مرجعية خطابية محددة ومن خصوصية الحقل التواصلي الذي يكتنفه، فنجد حجاجا خطابيا "لسانيا" وآخر "بلاغيا" وآخر "سياسيا" وهكذا، وتبعا لذالك يصبح الحجاج بعدا من أبعاد الخطاب الانساني المكتوب و المنطوق "[1].

ومن التّعريفات التي نظرت إلى الحجاج بوصفه نمطا من أنماط الخطاب أنّه: "كلّ منطوق موجّه إلى الغير لإفهامه دعوى مخصوصة بحقّ له الاعتراض عليها "[2].

أما عند: صاحب النّظريّة الحجاجيّة "بيرلمان" وزميله "تيتيكا" فيعرّفان موضوع الحجاج بأنّه "دراسة التّقنيات الخطابيّة التي تسمح بإثارة الأذهان أو زيادة تعلّقها بالأطروحات التي بعرض من أجل تقبّلها" [3].

ينبني عن هذه التّعريفات العربيّة والغربيّة أنّها تصبّ في قالب واحد، وهو حيّز خطابي يدور حول قضيّة متنازع فيها أو مشكوك في صحّتها، وعلى الطّرفين إثبات ذلك أو العزوف عنه، وكلّ خطاب حجاجيّ يتضمّن حججا بغرض الإقناع والتّأثير.

الإعجاز والحجاج

ما من خلاف بين الدّارسين أنّ ثمّة علاقة متينة تجمع المدوّنة الإعجازيّة بالدّرس الحجاجي، ذاك أنّ الدراسة الإعجازيّة قامت على إظهار الدّليل لإقناع الآخر في كون القرآن معجزا، فالخطّابي في رسالته أقام حججه مواجها خصومه، من منكري الإعجاز بالكلية، ومن الذين رأو بأنّ القرآن معجز من جهة الصّرفة أو الإخبار بالغيوب لأنّ هذا الأخير لم يحضر في جميع الصّور، فكان الوجه المقبول عنده و الذي دافع عنه هو إعجاز القرن من جهة البيان والبلاغة أو ما يسمّى بالنّظم، وفي هذا الشّأن يقول الخطّابي: فتفهّم الآن واعلم أنّ القرآن إنّما صار معجزا لأنّه جاء بأفصح الألفاظ في أحسن نظوم التّأليف مضمّنا أصحّ المعاني" [4]. ولا غَرْوَ أن يكون الدّرس الإعجازيّ درسا حجاجيّا ما دام نشأ من القرآن، فالقرآن الكريم نفسه "خطاب حجاجيّ بالدّرجة الأولى، حيث يقصد إلى الإقناع وسَوْقِ الحجج والبراهين ... ليقع الاهتداء به" [5].

فلفظة الحجاج وردت ثمان وعشرين مرّة بصيغ مختلفة من حيث المبنى، كلفظة حاجَّ

في قوله تعالى : ﴿**أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ**﴾ البقرة /258

ولفظة تحاجّ : في قوله تعالى : ﴿**وَإِذْ يَتَحَاجُونَ فِي النَّارِ**﴾ غافر/47

ولفظة حجّة : في قوله تعالى : ﴿**وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ** ﴾ الأنعام/ 83

---

[1] - ينظر، أعراب حبيب: الاستدلال الحجاجي مجلة عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون و الآداب، الكويت،2001 ، م 30 ، ع1، ص98

[2] - ينظر، طه عبد الرحمن: اللسان و الميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثّقافي، الدار البيضاء، 2012، ط3،ص226

[3] - عماري مالك: الإعجاز والحجاج، رسالة دكتوراه، جامعة ابن خلدون – تيارت، السّنة الجامعيّة 2017-2018، ص19.

[4] - ينظر، الخطابي: بيان إعجاز القرآن، ص27.

[5] - ينظر، ليلى محمّد حمد الشّمري: الخطاب الحجاجي في مؤلّفات علماء الإعجاز في القرنين الرابع والخامس الهجريين، مجلّة البحث العلمي في الآداب، ديسمبر2020،المجلّد 21، ع9، ج9، ص112.

فهذه الأمثلة عن مشتقات لفظة حجاج تبرز حجاجيّة القرآن الكريم وأنّه يحمل حمولة حجاجيّة تجعله يتفوّق على أيّ خطاب إنسانيّ مهما بلغت جودته وحجّيته، فقد "جاء الخطاب القرىني معبّرا عن أرقى النّماذج و أكثرها نصاعة و تمامًا، بعدما أنجز هدفه، وهو التّغلّب على خصومه داخل مقام الاستدلال وألزم محاوريه حجّة الله البالغة" [1]. وهكذا يكون درس إعجاز القرآن درسا حجاجيّا قام على نصّ حجاجيّ، فالقرآن الكريم بما يتميّز به من جودة فنّية تضمّنت بلاغة عالية كانت هدفا في حدّ ذاتها، فقد تضمّن غرضا آخر، كما ذكر ابن الأثير في "المثل السّائر" حين قال: "و الكلام فيه (القرآن) وإن تضمّن بلاغة فليس الغرض هنا ذكر بلاغته فقط، بل الغرض ذكرُ ما تضمّنه من النّكت الدّقيقة في استدراج الخصم إلى الإذعان و التّسليم" [2].

وبعد تبيان العلاقة بين النّصّ القرآني والدّرس الحجاجي تأتي مرحلة كشف العلاقة بين المدوّنة الإعجازيّة والدّرس الحجاجي في بعده التّداولي.

كان للبحوث التّداوليّة درو كبير في تطوير بلاغة الحجاج وذلك حين انفتحت نظريّة الحجاج على المعارف اللّسانيّة والبلاغيّة والاجتماعيّة وغيرها، وهي كلّها تصبّ في الحقل التّداولي، "إذ إنّ التّداوليّة تقوم على نظريّة الأفعال الكلاميّة التي لها وظيفة حجاجيّة عندما تستهدف توجيه المتلقّي نحو نتيجة معيّنة أو صرفه عنها والتأثير فيه. كما هو الحال في خطاب علماء الإعجاز"[3].

لما كانت البيئة التي ظهرت فيها الدّراسات الإعجازيّة بيئة ارتبطت بعلم الكلام الذي يقوم على المناظرة و المحاورة، لم تخل الدّراسات الإعجازية من الجدل والحجاجية لإثبات تفوّق النّصّ القرآني على ما سواه من النّصوص البشريّة مهما بلغت من جودة أجمع عليها الدّارسون، كما كانت دراسات الإعجاز موجّهة إلى الذين ينكرون القرآن بأنّه كلام الله، فخاض العلماء الإعجاز لمهمّة الدّفاع عن القرآن الكلايم من حيث هو كلام الله أوّلا ومن حيث هو نصّ عربيّ له من المقوّمات الفنيّة والجمالية ما يجعل إنتاج نص مثله متعذّرا على كلّ خطيب مصقع أو شاعر مفلق. هذه المهمّة التي اضطلع عليها علماء الإعجاز جعلتهم "يهتمون في بحثهم بالبلاغة باعتبارها آية تبرز القدرة على الكلام والتّفكير، وعاملا من العوامل المؤثّرة التي تدرك منها المقاصد وتفهم منها المآلات ويقوم عليها الحجاج" [4].

وما من شكّ أنّ قوّة الحجاج التي رمى بها الخطابي في رسالته مردّها إلى مكوّناته الثّقافيّة والعلميّة التي انطلق منها، فقد نهل من علم الحديث وبرع فيه وألّف فيها مصنّفات،

---

[1] - ينظر، عماري مالك: الإعجاز والحجاج، ص14-15

[2] - ينظر، محمّد عديل عبد العزيز: الفكر اللّساني التداولي قراءات في التراث والحداثة، جدارا للكتاب العالمي للنّشر والتّوزيع، الأردن، 2016، ط1، ص193

[3] - ينظر، ليلى محمد حمد الشّمري: الخطاب الحجاجي في مؤلّفات علماء الإعجاز في القرنين الرابع والخامس الهجريين، ص115

[4] - ينظر، عماري مالك: الإعجاز والحجاج، ص36

فعكوفه على هذا العلم كان "ذا أثر في توجيه فكر الخطّابي" [1]. كما تأثّر بفقه الشّافعيّ الذي "يمثّل نمو الفقه الإسلامي الذي جمع بين فقه أهل الرّأي وفقه الحديث، فإليه يرجع الفضل في وضع موازين القياس وإليه يرجع الفضل في وضع موازين القياس، وإليه يرجع الفضل في محاولة ضبط طرق فهم الكتاب والسّنة، بما وضعه من مبادئ الاستنباط بأصول الفقه، وقواعد التّخريج"[2].

ولهذا يظهر هذا الأثر بيّنا في رسالة الخطابي "فالجمع بين أهل الرّأي وأهل الحديث بقاعدة الموازنة اتّخذه الخطّابي منهجا في النّظر والبحث"[3]. و من المعارف التي شكّلت الذّهنيّة العلمية للإمام الخطّابي علم العربية فقد كان "رجلا عالما واسع الإلمام باللّغة ودقائقها... والخطّابي نفسه يصرّح من الواجب على أهل العلم وطلاب الأثر أن يجعلوا أوّلا عظم اجتهادهم، وأن يصرفوا جلّ عنايتهم إلى اللّغة والمعرفة بوجوهها"[4]، وعلمه باللّغة ظهر جليّا في رسالته حيث كشف عن فروق لغويّة بين مفردات يظنّها الكثيرون مترادفات.

وممّا اعتنى به الخطّابي علم الكلام "فقد تتلمذ على يد أبي بكر القفّال الشّاشي الذي وصف الذي وصف ضمن ما وصف به بأنّه كان إماما في علم الكلام"[5]. وأيضا هذا له أثر في تشكيل الحمولة المعرفيّة و الفكريّة للإمام الخطّابي. هذه المكونات الثّقافيّة والعلميّة استطاع الخطّابي أن يستحضر تلك الحجج القويّة لمّا تصدّى لقضيّة الإعجاز القرآني التي تعدّ من أكثر القضايا الجدليّة التي تستثمر فيها كلّ معرفة من شأنها أن تصل إلى إقناع الخصم أو التّاثير فيه .

يتّضح في نهاية هذا المدخل انّ الدّراسات الإعجازيّة استخدمت آليات الحجاج بمختلف أنواعها بوعي كبير، ولعلّ هذه الدّراسات تعدّ من أخصب المعارف التي اعتمدت الحجاج لبلوغ غايتها وهدفها، وصحبح أنّ البلاغيين العرب لم يكتشفوا "الحجاج كما هو عليه في النّقد المعاصر ... ومع هذا فالذي تقرّر عند الكثير من البلاغيين من خلال المفاهيم المقدّمة للبلاغة يوحي بأن البلاغيين القدامى طالما اعتبروا أنّ لا فصل بين البلاغة والحجّة بعد أن اتّفق جلّ الباحثين بأنّ البلاغة هي الوجه الأصيل للإعجاز القرآني ... والبلاغة هي في أوسع معانيها في الحجاج"[6]. والشكل التالي يلخص بوضوح استخدام آليات الحجاج في الكشف عن مواضع الإعجاز في القرآن الكريم بصفة عامة وعند الخطّابي بصفة خاصة:

[1] - ينظر، عبد الله عبد الرحمن أحمد بانقيب: مناهج التّحليل البلاغي عند علماء الإعجاز، رسالة دكتوراه، جامعة أمّ القرى، السنة الجامعيّة 2007- 2008، ص141

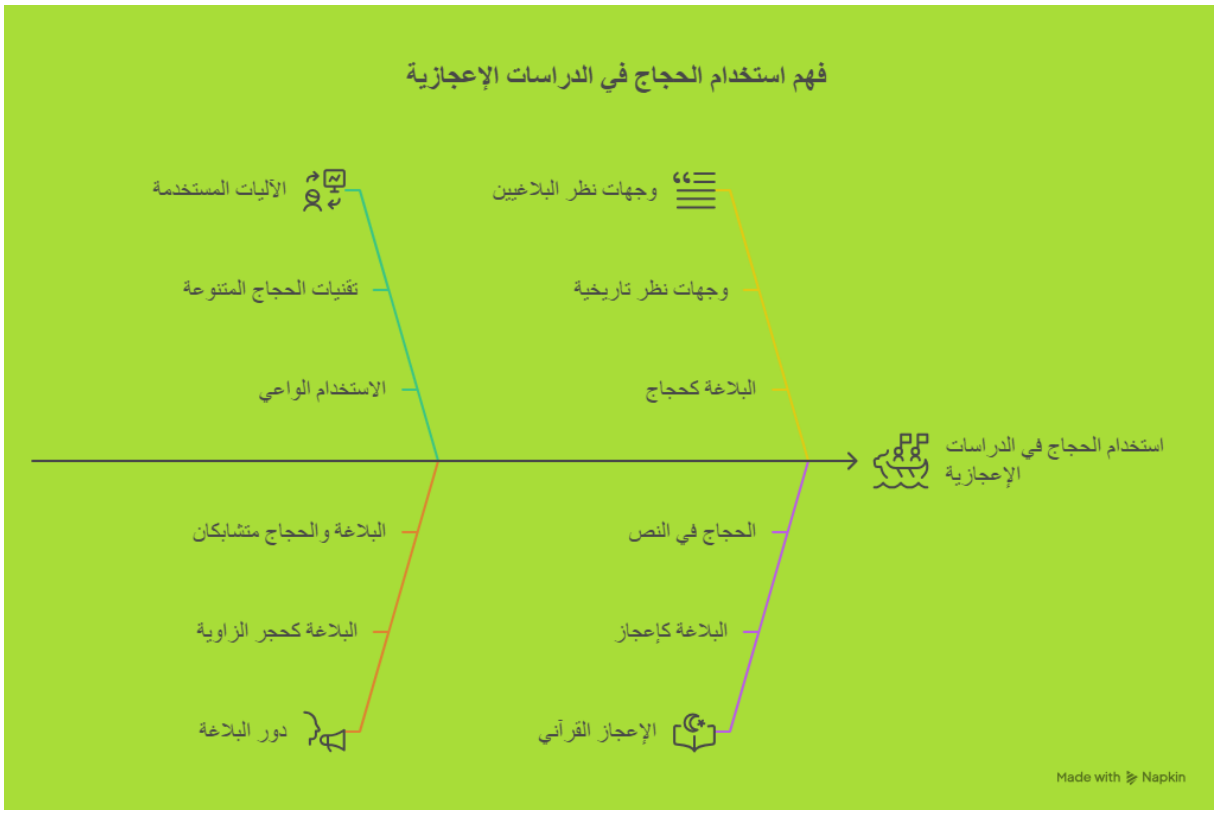
[2] - ينظر، عبد الله عبد الرحمن أحمد بانقيب: مناهج التّحليل البلاغي عند علماء الإعجاز، ص 143

[3] - المرجع نفسه: ص 144

[4] - المرجع نفسه: ص 144

[5] - المرجع نفسه: ص 145

[6] - ينظر، عماري مالك: الإعجاز والحجاج، ص (42/36).


فهم استخدام الحجاج في الدراسات الإعجازية
الآليات المستخدمة
تقنيات الحجاج المتنوعة
الاستخدام الواعي
البلاغة والحجاج متشابكان
البلاغة كحجر الزاوية
دور البلاغة
وجهات نظر البلاغيين
وجهات نظر تاريخية
البلاغة كحجاج
الحجاج في النص
البلاغة كإعجاز
الإعجاز القرآني
استخدام الحجاج في الدراسات الإعجازية
Made with Napkin

الفصل الأول: الآليات اللّغويّة

أوّلاً الرّوابط الحجاجيّة

1- الرّابط الحجاجيّ (لأنّ)

2- الرّابط "لكنّ"

3- الرّابط "أمّا"

4- الرّابط الحجاجي (لام التّعليل)

5- الرّابط الحجاجيّ (حتّى)

6- الرّابط الحجاجيّ (المفعول لأجله)

ثانيا العوامل الحجاجيّة

1- العامل الحجاجي (إنّما)

2-العامل الحجاجي (النّفي والاستثناء)

ثالثا حجاجيّة الوصف (المشتقّات)

1- حجاجيّة اسم الفاعل

2- حجاجية اسم المفعول

3- حجاجية اسم التّفضيل

4-حجاجية الصّفة المشبهة

5- حجاجية صيغ المبالغة

الفصل الأوّل : الآليات اللّغويّة

يلعب المكوّن اللّغوي في تشكيل الخطاب الحجاجي دورا مهمّا، فكلّ ملفوظ لغويّ يشكّل حجّة تساعد المخاطب على إقناع المخاطَب بأفكاره، ولقد «أشار ديكرو و أنسكومبر، أثناء صياغتها لـ "النّظريّة الحجاجيّة في اللّغة" إلى ظاهرة لغويّة جدّ مهمّة تتدخّل بطريقة مباشرة، في توجيه الحجاج إلى الوجهة التي يريدها المتكلّم، فهي عناصر لغويّة تلعب دورًا أساسًا في اتّساق النّصّ وفي ربط أجزائه والمعنى، ويسميها ديكرو الرّوابط الحجاجيّة»[1].

أوّلاً : الرّوابط الحجاجيّة

و تعرّف الرّوابط بأنّها مجموعة من العناصر النّحويّة والظّروف وحروف العطف، تربط بين قولين أو حجّتين، وتسند لكلّ قول دورًا محدّدا داخل الاستراتيجيّة الحجاجيّة العامّة ومنها (الواو، الفاء، لكن، إذن، حتى، لأنّ، بل، بما أنّ، لا، لام التّعليل، ...الخ) ولهذه الرّوابط دور ظاهر في حجاج مدوّنة الخطّابي الإعجازيّة، ويكمن في "ترتيب الحجج ونسجها في خطاب واحد متكامل، إذ تفصل مواضع الحجاج، بل و تقوّي كلّ حجّة منها الحجّة الأخرى"[2]. ونذكر بعض تلك الرّوابط، لنتبيّن فاعليّة توظيفها في مدوّنة الرّسالة .

1- الرّابط الحجاجيّ (لأنّ):

يعتبر الرّابط (لأنّ) من أهمّ ألفاظ التّعليل، وقد وظّف الإمام الخطّابي هذه الأداة بكثافة في رسالته بيان إعجاز القرآن ، بما يعكس وعيًا واضحًا ببنية الحجاج ومقتضيات الإقناع. ففي معرض حديثه عن كون القرآن معجزًا، يقول: "فإنّ الذي جاء به محمد ﷺ من القرآن معجِز، **لأنّه** خارج عن جنس كلام العرب، و**لأنّه** لا يُطاق معارضته، و**لأنّه** وقع به التّحدي ولم يُتحدّ بمثله "[3].

يمثّل هذا النص نموذجًا دالًّا على البنية الحجاجية التي يتبنّاها الخطّابي، حيث يبدأ بإطلاق النتيجة الحجاجية،" القرآن معجِز"، ثم يورد سلسلة من الحجج التّعليلية المترابطة بواسطة الأداة "لأنّ"، وهي:

الاختلاف النّوعي بين القرآن وكلام العرب .

عجز المخاطبين عن المعارضة .

تحقّق التحدي وغياب المكافِئ .

وفي سياقات أخرى يقول :

---

[1]- ينظر، سهيلة سلطاني: ملامح التّفكير التّداولي في كتاب إعجاز القرآن للباقلاني، مذكّرة ماجستير في النّقد الأدبي، جامعة الأمير عبد القادر قسنطينة، 2013-2014 ، ص122

[2] - ينظر، رامي جميل أحمد سالم: آليات الحجاج في رسالة الخطابي بيان إعجاز القرآن، المجلّة الأردنية في اللغة العربيّة وآدابها، 2024م، المجلّد 20، العدد1، ص30

[3]- ينظر، أبو سليمان الخطّابي: بيان إعجاز القرآن، تح: محمد زغلول سلام، دار المعارف، القاهرة، 1976، ص.51

"فأما المعاني ... فالأمر في معاناتها أشدّ **لأنّها** نتائج العقول ... وأما رَسْوُ النّظم فالحاجة إلى الثّقافة والحذف فيها أكثر **لأنّها** لجام الألفاظ ..."[1]
وإنّما جاز حذف الجواب ... **لأنّ** المذكور منه يدلّ على المحذوف ... وقد قيل: إنّ الحذف في مثل هذا أبلغ ...**لأنّ** النّفس تذهب في الحذف كلّ مذهب"[2]

2- الرّابط "لكنّ"

يعدّ هذا الرّابط من الرّوابط الحجاجية المدرجة للحجج القويّة و ليس للنتيجة، كما انّه يقع ضمن روابط التّعارض الحجاجي أو الحجج المتعاندة ويؤدّي دور الاستدراك، فالمتكلّم يضمّنه خطابه ليستدرك به على كلامه، ويوجّه الحجاج الوجهة التي يريدها بحيث يكون ما بعده عكس ما قبله[3].
ومن شواهد ذلك في كتاب بيان إعجاز القرآن، "قلت : ولا يشكّ في أنّ هذا وما أشبهه من أخباره نوع من أنواع إعجازه **ولكنّه** ليس بالأمر العام الموجود في كلّ سورة من سور القرآن، وقد جعل الله سبحانه في صفة كلّ سورة أن تكون معجزة بنفسها، لا يقدر أحد من الخلق أن يأتي بمثلها[4] .
فاستثمر الخطّابيّ ميزة الانعكاس في الأداة "لكنّ" ووجّه ما بعدها ليكون نتيجة مضاءة لما قبلها، فجاء ما بعدها مؤكّدا أنّ هذا لا يوجد في كلّ سور القرآن فدلّ على أن المعنى في غير ما ذهب إليه .
وفي موضع آخر نجد الخطّابي عند شرحه للفرق بين الشحّ والبخل يستعمل الأداة لكن ليستدرك بها على قول من زعموا أنّ الشّح ما يجده الشّحيح في نفسه من الحزازة عند أداء الحقّ، والبخل هو منع الحقّ، وليوضّح الفرق الصّحيح بينهما، قال : "ليس ذاك الشحّ الذي ذكره الله في القرآن، ولكنّ الشّح أن تأكل مال أخيك ظلما، ولكن ذاك البخل، وبئس الشّيء البخل"[5].

[1] - ينظر، الخطّابيّ: بيان إعجاز القرآن، ص29
[2] - المصدر نفسه: ص52
[3] - ينظر، رامي جميل أحمد سالم: آليات الحجاج في رسالة الخطابي، ص32
[4] - ينظر، الخطّابيّ: بيان إعجاز القرآن، ص23
[5] - المصدر نفسه: ص 30-31

3- الرّابط "أمّا"

يرى طه عبد الرّحمن أنّ الأصل في استعمال القانون الحجاجي "أمّا" بما أنّها حرف شرط وتوكيد وتفصيل هو قاعدة تخاطبية مقتضاها انّ المتكلّم يخبر المخاطب بأقصى ما يمكن من الفائدة فيصير هذا الأخير إلى حمل قوله على إفادة أنّ العلاقة بين المقدّم والتّالي علاقة شرط طردًا أو عكسًا معا أو علاقة تُحمل على التّفصيل.[1]

وحرص الخطابيّ على توظيف "أمّا" في جميع أجزاء رسالته لما لها من قدرة على التفصيل و التوكيد واستمالة ذهن المتلقّي باعتبارها تتضمّن شرطا ينتظر المتلقّي جوابه ليكتمل شغفه بانتهاء المعنى، وقد ورد هذا الرّابط بشكل لافت عند حديث صاحب الكتاب عن الفروق اللّغوية التي يظنّها النّاشر مترادفات، ومثال ذلك : أمّا النّعت والصّفة فإنّ الصّفة أعمّ والنّعب أخصّ، ... و**أمّا** قول القائل لصاحبه اقعد واجلس فقد حكى لنا عن النّفيّ ...[2]

4- الرّابط الحجاجي (لام التّعليل)

تُعدّ **لام التعليل** من أبرز أدوات الرّبط الحجاجي التي تُستثمر في الخطاب الإقناعي لتبرير المواقف وتفسير الأحكام. وقد لجأ إليها أبو سليمان الخطابي في رسالته *بيان إعجاز القرآن*، ضمن سياق حديثه عن خصائص الكلام البليغ، ومنها قوله: " وقد علمنا أن الكلام إنما صار بديعًا ورائعًا **لسلامته** من التّكلف، وبعده من التصنع، لا **لتخير** الألفاظ وإيثار الغريب والأساليب الوحشية"[3].

تؤدي لام التعليل في هذا السياق دورًا تداوليًا حجاجيًا مهمًا، إذ تُبرر الحكم الذي قرّره الخطابي بشأن سرّ جمالية الكلام البليغ، وهو أنه لا يرجع إلى الزخرفة اللفظية أو الغرابة الأسلوبية، بل إلى **السلامة من التكلف والصفاء الطبيعي في الأسلوب**، وهي خصائص جوهرية تتجلى في القرآن الكريم، وتُعدّ من وجوه إعجازه البلاغي.

من شواهده أيضا عند الخطّابي عندما أشار إلى عجز المعاندين من المعارضة مع توافر الدّواعي لديهم فقال: "فتركوا المعارضة لعجزهم، وأقبلوا على المحاربة لجهلهم، فكان حظّهم ممّا فرّوا إليه، حظّهم ممّا فزعوا منه (فغلبوا هنالك وانقلبوا صاغرين)" [4]

تركوا المعارضة (السّبب) عجزهم عن الاتيان بمثل القرآن

أقبلوا على المحاربة (السبب) جهلهم وعنادهم بأنّهم قادرون على المحاربة

ونجد أنّ الاقتباس السّابق يحمل حججا مترابطة مع بعضها كما يحمل النتيجة أيضا، يمكن فهمها كالآتي :

---

[1] - ينظر، رامي جميل أحمد سالم: آليات الحجاج في رسالة الخطابي، ص36

[2] - ينظر، الخطّابيّ: بيان إعجاز القرآن ، ص31

[3] - المصدر نفسه: ص38

[4] - المصدر نفسه: ص 35

حظّهم مما مفروا إليه ـــــ وهو الاقبال على محاربة الرّسول ـــــ السّبب جهلهم
حظّهم مما فزعوت منه ـــــ وهو معارضة القرآن والإتيان بمثله ـــــ السّبب عجزهم .
إن هذا التوظيف للّام لا يحمل فقط دلالة تفسيرية، بل هو جزء من بنية حجاجية تُبنى على مقدمات عقلية، ليصل الخطابي إلى نتيجة حاسمة، وهي أن إعجاز القرآن ليس في مجرد الألفاظ، وإنما في **النّظم المحكم والأسلوب السّليم الذي لا يشبهه كلام بشر.**
ولذلك نجد الخطابيّ يؤكّد النّصّ السّابق بنصّ آخر عندما قال : "وكيفما كانت الحال ودارت القصّة، فقد حصل باعترافهم قولا، وانقطاعهم عن معارضته فعلا أنّه معجز، وفي ذلك قيام الحجّة وثبوت المعجزة.[1]
وممّا سبق نخلص إلى أنّ الخطابي في رسالته "بيان إعجاز القرآن"، استخدم **لام التعليل** كأداة لدحض الانتقادات، و لتفصيل الآراء السابقة، و لتسويغ رأيه بأنّ الإعجاز الحقيقي **بلاغي معرفي.**

5- الرّابط الحجاجيّ (حتّى):

يعد الرّابط (حتّى) من الرّوابط الحجاجيّة التّساوقيّة القويّة، وينبغي للحجج التي تكون مربوطة بواسطة هذا الرّابط، أن تنتمي إلى فئة حجاجيّة واحدة، والحجّة التي ترد بعد هذا الرّابط تكون هي الأقوى، ولذا فإنّ القول المشتمل على الأداة "حتى" لا يقبل الإبطال والتّعارض الحجاجي [2].
الأداة **"حتى "**من الرّوابط الحجاجيّة البارزة في رسالة الخطابي، وقد وظّف الخطابي هذا الرابط بأسلوب حجاجي دقيق، يظهر فيه تدرجه في العرض، وحرصه على إقناع المتلقي بإيصال الحجة إلى نتيجتها المنطقية أو المذهلة. يقول الخطابي في معرض تفريقه بين فصاحة البشر وبلاغة القرآن:
"وإنّ من الكلام ما يُستعذَب في السمع، ويُعجب به في أول وهلة، ثم لا يُلبث أن يُمَلّ ويُملّ، **حتى** إنّ صاحبه ليَرجِع عنه، ويَعتذر منه..."[3].
فالرابط "حتى" هنا أدّى وظيفة تصاعدية، إذ انتقل من حالة الإعجاب اللّحظي إلى الذروة السلبية المتمثلة في نفور المتكلم نفسه من كلامه. وتُعدّ هذه النتيجة ضربًا من الحجاج السلبي؛ حيث يُبرهن به الخطابي على أنّ كلام البشر – مهما بلغ من فصاحة – لا يصمد أمام التكرار، بخلاف كلام الله تعالى، الذي "لا يخلَق على كثرة الرد."
وفي موضع آخر، يبرز الخطابي تعلّق العرب بالبلاغة حين يقول:

[1] - المصدر السابق، ص 29
[2] - ينظر، رامي جميل أحمد سالم: آليات الحجاج في رسالة الخطابي، ص30
[3] - ينظر الخطابي: *بيان إعجاز القرآن*، ص 38.

"وقد كانت العرب تقيم المآتم على فقد شاعرها، وتُقيم الأفراح لظهور خطيبها، **حتى** إنّهم كانوا يفتخرون بشاعر القبيلة كما يفتخرون بفارسها..."[1].

يفيد الرّابط "حتى" هنا بلوغ الغاية في بيان قيمة الفصاحة في الثقافة العربية الجاهلية. وهو بهذا يُمهّد لحجة مركزية مفادها أن عجز العرب – وهم أرباب الفصاحة – عن مجاراة نظم القرآن، دليل قاطع على إعجازه. وهكذا، يكتسب الرّابط الحجاجي "حتى" عند الخطابي بعدًا تداوليًّا متميزًا، لأنّه يُؤدي دورًا في نقل المتلقي من معطيات أولية إلى نتائج قوية أو مفاجئة، مما يُعزز من فاعلية الحجاج في خطابه، ويُظهر تماسك بنائه المنطقي والبلاغي.

وفي موضع آخر وهو يردّ على من زعموا أنّ إعجاز القرآن من جهة البلاغة، ولكن يصعب عليهم تحديد هذا الإعجاز، يقول : "وإنّما يعرفه العالمون به عند سماعه ضربا من المعرفة لا يمكن تحديده" [2]، فيردّ الخطابيّ : "قلت فأمّا من لم يرض من المعرفة بظاهر السّمة دون البحث عن باطن العلّة، ولم يقنع في الأمر بأوائل البرهان **حتّى** يستشهد لها دلائل الامتحان، فإنّه يقول إن الذي يوجد لهذا الكلام من العذوبة ... أمر لا بدّ له من سبب"[3] فما بعد حتّى جاء حجّة قويّة أقوى من الحجّة التي قبلها لمن لم يرض بالظّاهر من الحقائق ويروم البحث عن باطن العلّة لإعجاز القرآن .

ومن شواهده قول الخطّابيّ : "فإنّه يقول إنّ الذي يوجد لهذا الكلام من العذوبة في حسّ السّامع، والهشاشة في نفسه، وما يتحلى به من الرونق والبهجة التي يباين بها سائر الكلام **حتّى** يكون له هذا الصّنيع في القلب، والتّأثير في النّفوس، ... أمر لا بد له من سبب"[4]، فالخطّابي يحتجّ لسرّ الإعجاز بالأثر النّفسي الذي يتركه :

- عذوبة في حسّ السّامع والهشاشة في نفسه (حجّة ما قبل حتّى)
- ما يتحلّو به من الرّونق والبهجة (حجّة ما قبل حتّى)
- له صنيع في القلوب وتأثير في النّفوس (حجّة أقوى ما بعد حتّى)

ودليل ذلك أنّه أفرد في نهاية رسالته جزء خاصا لبيان مدى التّأثير النّفسي للقرآن عند سماعه : "قلت في إعجاز القرآن وجها آخر ذهب عنه النّاس فلا يكاد يعرفه إلاّ الشّاذ من آحادهم، وذلك صنيعه بالقلوب وتأثيره في النّفوس"[5].

6- الرّابط الحجاجيّ (المفعول لأجله)

ويعدّ هذا الرّابط من الرّوابط الحجاجيّة التي تقتضي قوّة حجاجيّة لبيان السّبب. ومن شواهده في رسالة الخطّابي في حديثه عن الوليد بن المغيرة الذي كان يعرف الحقّ، ولكنّه

[1] - الخطّابي، المصدر السابق: ص40
[2] - المصدر نفسه: ص 24
[3] - المصدر نفسه: ص 25
[4] - المصدر نفسه: ص25
[5] - المصدر نفسه: ص70

لعناده ومكابرته يتجاوزه إلى الباطل فقال : ""انّه لما طال فكره في أمر القرآن، وكثر ضجره منه، وضرب له الأخماس من رأيه في الأسداس، لم يقدر على أكثر من قوله ﴿ **إن هذا إلاّ قول البشر**﴾ المدثّر/25 ، عنادا للحقّ وجهلاً به، وذهابا عن الحجّة وانقطاعا دونها"[1] .

فالكلمات (**عنادًا، جهلاً، ذهابًا، انقطاعًا**) كلّها كلمات تحمل قوّة حجاجيّة تبيّن مدى الحيرة واليأس والجهل والعناد والمكابرة لدى الوليد بن المغيرة، كما تتضمّن مقتضى حجاجيا بأنّ ابن المغيرة كان يعرف الحقّ ويعرف القرآن ويؤثر به ولا يجهل صدق ما جاء به النّبيّ ﷺ، "فلم يتمالكوا أن يعترفوا به نوعا من الاعتراف"[2]، " فقد حصل باعترافهم قولا"[3]، لكن عنادهم قادهم إلى المحاربة والإنكار والمعارضة.

وفي سياق تأكيد الخطّابي على مناجزة المعاندين للقرآن والرّسول بالحرب للخلاص منه واستئصاله، راح يؤكّد ذلك بالرّابط الحجاجيّ النّحوي قائلا : "و إنّما عاقهم عن ذلك رأي آخر... وهو مناجزتهم إياه الحرب ومعاجلته بالإهلاك **استراحة** إلى الخلاص منه، ... فمالوا إلى هذا الرّأي قصدا إلى اجتياحه واستئصاله"[4] .

ثانيا : العوامل الحجاجيّة

إذا كانت الرّوابط الحجاجيّة تتأسّس على الرّبط بين الحجّة والنّتيجة، فإنّ العوامل الحجاجيّة تقوم بحصر الإمكانيات الحجاجيّة التي تكون لقول ما وتقييدها، وهي العناصر التي تكون داخل القول الواحد، وتدخل على الإسناد مثل الاستثناء والنّفي، ومن العوامل أيضا أدوات الحصر مثل (إنّما، ما ... إلاّ، لا ...إلاّ) وعوامل أخرى[5].

1- العامل الحجاجي (إنّما)

العامل الحجاجي "إنّما" من العوامل التي تؤدّي دورًا مهمًّا في بناء الحجاج، إذ يُستخدم للحصر والقصر، أي لحصر الحكم في المذكور دون غيره، وهو ما يضفي على الخطاب طابعًا يقينيًّا ويعزّز من قوّة الدليل. وقد أشار البلاغيّون إلى هذا المعنى، ومنهم السيوطي الذي عدّ "إنّما" من أدوات الحصر في قوله : الحصر بـ «إنّما» يفيد إثبات الحكم للمذكور ونفيه عمّن عداه"[6]. وهي بهذا تؤدّي وظيفة حجاجيّة مركزيّة، واستثمر الخطّابيّ هذا العامل في خطابه للدّفاع عن فكرته وإيصال رسالته للمتلقي بعد العمل على إبطال مزاعم الخصم، ومن أمثلة حضور هذا العامل :

---

[1] - المصدر نفسه: ص28

[2] - ينظر، الخطّابيّ: بيان إعجاز القرآن ، ص28

[3] - المصدر نفسه: ص29.

[4] - المصدر نفسه: ص35.

[5] - رامي جميل أحمد سالم: آليات الحجاج في رسالة الخطابي، ص38

[6] - ينظر، السّيوطي: *الإتقان في علوم القرآن*، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1974م، ج2، ط4، ص135.

"قالوا إنّه لا يمكننا تصويره و لا تحديده بأمر ظاهر نعلم به مباينة القرآن غيره من الكلام و**إنّما** يعرفه العالمون به عند سماعه ضربًا من المعرفة لا يمكن تحديده"[1].

"وهذا لا يقنع في مثل هذا العلم، ولا يشفي من داء الجهل به، و **إنّما** هو إشكال أُحيل به على إبهام"[2].

"وإنّما تعذّر على البشر الإتيان بمثله لأمور منها ...و إنّما يقوم الكلام بهذه الأشياء الثّلاثة : لفظ حامل، ومعنى به قائم، ورباط لهما ناظم"[3].

"فإذا عرفت هذه الأصول تبيّنت أنّ القوم **إنّما** كاعوا وجبنوا عن معارضة القرآن لما قد كان يئودهم ويتصعّدهم منه"[4].

"و**إنّما** عاقهم عن ذلك رأي آخر كان أقوى في نفوسهم وأجدى عليهم في مبلغ آرائهم وعقولهم"[5]

"و**إنّما** يكثر وحشيّ الغريب في كلام الأوحاش من النّاس ...، و**إنّما** المختار منه النّمط الأقصد الذي جاء به القرآن"[6] .

"و**إنّما** تحقّق معرفة الشّيء بأن يعتبر بضدّه ليوقف على حدّه".[7]

"وأمّا قول الآخر وما جاء به في نعت الحبلى، فإنّ أوّل ما غلط به هذا الجاهل هو أنّه وضع كلمة الانتقام في موضع كلمة الإنعام ... و**إنّما** تستعمل هذه اللّفظة في العقوبات ونحوها ... و**إنّما** وجه الكلام ممّا رامه من المعنى أن يقول : ألم تر إلى ربّك كيف لطف بالحبلى"[8].

إنّ كلّ جملة من الجمل السّابقة جاءت في سياق محدّد، كما أنّها تدعم فكرة معيّنة في موضوع بيان وجه سرّ الإعجاز في القرآن، وإبطال مزاعم المشكّكين وتفنيدها، ففي كلّ سياق ظهر فيه العامل الحجاجيّ (إنّما) كان الخطّابي يحتجّ لفكرة من أجل تأكيدها أو إبطالها ودحضها.

2-العامل الحجاجي (النّفي والاستثناء):

من العوامل الحجاجية التي اعتمد عليها الخطّابي في بيان إعجاز القرآن النفي والاستثناء، وهما من الأدوات التي تُستخدم لإبعاد فكرة معيّنة ونفيها، ثم إثبات فكرة أخرى يُراد الدفاع عنها. وقد وظّف الخطّابي هذين الأسلوبين ليُبيّن رأيه في حقيقة الإعجاز القرآني، وينقُض الآراء التي انتشرت في عصره.

---

[1] - ينظر، الخطابي: بيان إعجاز القرآن، ص24
[2] - المصدر نفسه: ص 24-25
[3] - المصدر نفسه: ص 26-27
[4] - المصدر نفسه: ص 35
[5] - المصدر نفسه: ص 35
[6] - المصدر نفسه: ص 37
[7] - المصدر نفسه: ص 54
[8] - المصدر نفسه: ص 69

وبهذا الأسلوب، يعمد الخطّابي إلى ما يُعرف في الحجاج بـ"الإقصاء"، أي رفض الآراء الأخرى، حتى يُقوّي موقفه ويجعله أكثر قبولاً عند القارئ. ويُعدّ الجمع بين النفي والاستثناء من أقوى طرق الحصر في البلاغة، كما أشار إلى ذلك السّكاكي بقوله: "النفي والاستثناء أدلّ أدوات الحصر"[1]، لأنهما يُحدّدان المعنى المراد ويُثبتانه بقوة أكبر. وهذا ما يستثمره المخاطِب لإقناع المخاطَب .

ففي حديث الخطابي عن شرائط البلاغة، بيّن أنّ الكلام يقوم باللّفظ والمعنى و النظم، وأنّ هذه الفضائل لم توجد مجتمعة إلاّ في كتاب الله، فحصر وجودها فيه قائلا : "فأمّا أن توجد في نوع واحد منه **فلم** توجد **إلّا** في كلام العليم القدير، الذي أحاط بكلّ شيء علما، وأحصى كلّ شيء عددا"[2].

وفي سياق تفريقه بين النّعت والصّفة، فقد حدّد الوجهة البلاغيّة للنّعت، وحصرها في محدود قائلا: "وأمّا النّعت **فلا** يكاد يطلق **إلّا** فيما لا يزول ولا يتبدّل، كالطول والقصر والسّواد والبياض..."[3]، لذا بيّن أنّ النّعت أخصّ من الصّفة[4].

وفي ردّ الخطّابي على اعتراضات بعض المبطلين على بعض ألفاظ القرآن، التي وردت في ظنّهم مخالفة لمعنى السّياق، فقد قام بتوظيف العامل الحجاجي ليحصر به سبب الاعتراض و الإدّعاء، ويفنّد إعتراضاتهم بطريقة صارمة مقنعة، فيقول : "إنّ القول في وجود ألفاظ القرآن وبلاغتها على النّعت الذي وصفناه صحيح **لا** ينكره **إلّا** جاهل أو معاند، وليس الأمر في معاني هذه الآي على ما تأوّلوه، ولا المراد في أكثرها ظنّوه وتوهّموه"[5]

ثالثا : حجاجيّة الوصف (المشتقّات)

يحتلّ الوصف دورًا مهمّا في عمليّة الإقناع، حيث يتّخذ منه المرسل وسيلة للحجاج، ويشمل الوصف مجموعة من الأدوات اللّغويّة التي تعمل على تركيب أجزاء الخطاب وبناء الحجج، والمتتبّع لخطاب الخطّابيّ يقف على مجموعة من هذه الأدوات التي ساعدته في بناء خطابه وتماسكه وانسجامه.[6]

من الأدوات الحجاجية التي اعتمد عليها الخطّابي في بيان إعجاز القرآن **الوصف بالمشتقات،** وهو أسلوب بلاغي يُستخدم لإبراز صفات فاعلة أو ثابتة في الشيء الموصوف، مثل: "بليغ"، "معجز"، "مؤثِّر"، "مبِين"، وغيرها. وتكمُن قوة هذا النوع من الوصف في أنّه لا يكتفي بتقديم معلومة، بل **يوحي بفاعلية الصفة واستمرارها،** مما يجعله أداة فعّالة في بناء الحجاج وتوجيه القارئ نحو تصوّر معيّن.

---

[1] - ينظر، السّكاكي: *مفتاح العلوم*، تحقيق: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، 1987، ط1، ص373.
[2] - ينظر، الخطّابيّ: بيان إعجاز القرآن ، ص27
[3] - المصدر نفسه: ص31.
[4] - المصدر نفسه: ص ن.
[5] - المصدر نفسه: ص41.
[6] - ينظر، سهيلة سلطاني : ملامح التّفكير التّداولي في كتاب إعجاز القرآن للباقلاني، ص127

وقد أشار علماء البلاغة إلى هذا الأثر الحجاجي للوصف بالمشتقات، ومنهم ابن يعيش الذي قال إن "الصفة المشتقة تدلّ على الثبوت أو التجدد، بحسب السّياق، وتُفيد تقرير الحكم في النفس"[1]، وهو ما نجده واضحًا في أسلوب الخطّابي عند الحديث عن القرآن، "واعلم أن القرآن صار معجزًا لأنه جاء بأفصح الألفاظ في أحسن نظوم التّأليف، مضمنًا أصحّ المعاني"[2]

في هذا السّياق، يعرض الخطّابي ثلاث صفات أساسية تُبرر إعجاز القرآن :

أفصح الألفاظ :وصف يدلّ على بلوغ أقصى درجات الفصاحة، وهي قيمة عالية في الثقافة العربية، يُبنى عليها التفضيل والتّمايز. هذا التوصيف يُفهم ضمنيًا على أنّه لا وجود لما هو أفصح منه، ما يجعل القرآن متفرّدًا.

أحسن نظوم التأليف :لا يكتفي الخطّابي بتقييم الألفاظ، بل ينتقل إلى بنية النص، فيبيّن أن النّظم والتأليف في القرآن بلغ غاية الحُسن.

أصح المعاني :ينتقل الحجاج من اللفظ إلى المضمون، فيقرّر أن المعاني القرآنية تتميّز بالصّحة والدّقة، في مقابل ما قد يشوب المعاني البشرية من اضطراب أو تناقض.

1- حجاجيّة اسم الفاعل

يُعدّ **اسم الفاعل** من أبرز المشتقات التي اعتمد عليها الخطّابي في بناء خطابه الحجاجي في بيان إعجاز القرآن، وذلك لما يتميّز به من **دلالة على الحدوث والفاعلية والاستمرار.** وقد أشار **ابن يعيش** إلى هذه الخاصية في اسم الفاعل بقوله: " واسم الفاعل يُفيد الحدوث والاستمرار، ويدلّ على أن الصفة قائمة بالموصوف عن وعي أو قصد"[3] . وهو ما يجعل هذه المشتقات أداة لغوية حجاجية فاعلة في يد الخطّابي، يوجّه بها المتلقي نحو تبنّي موقفه دون اللّجوء إلى الحجاج الجدليّ المباشر.

و من المواضع اللافتة التي تتجلى فيها قوة اسم الفاعل في بناء الحجاج قول الخطابي: **"وإنما يقوم الكلام بهذه الأشياء الثلاثة: لفظٌ حامل، ومعنى به قائم، ورباط لهما ناظم"**[4]

تَرِد **أسماء الفاعل** في العبارات التالية: **حامل – قائم - ناظم**

فاسم الفاعل **"حامل "**مأخوذ من الفعل "حَمَلَ"، ويعني أن اللفظ ليس عنصراً خاملاً، بل هو الوعاء الذي يحمل المعنى ويحتويه، وهو ما تؤكده المعاجم العربية، إذ ورد في القاموس المحيط" :حمله: نقله واحتواه، والحِمل ما يُحمل"[5]. كما يشير فاضل السامرائي إلى

---

[1] - ينظر، ابن يعيش: *شرح المفصل*، دار الكتب العلمية، بيروت، 2001، ج1، ط1، ص197.

[2] - ينظر، الخطّابيّ: بيان إعجاز القرآن ، ص27

[3] - ينظر، ابن يعيش: *شرح المفصل*، ص 197

[4] - ينظر، الخطّابيّ: بيان إعجاز القرآن، ص27

[5] - الفيروزآبادي: مجد الدين محمد بن يعقوب، **القاموس المحيط**، تحقيق: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، 2005م. ط8 (مادة ح م ل)

أن "اللفظ هو الوعاء الحامل للمعنى، ولا يتأتّى إيصال المعنى إلا به"[1]، مما يُظهر الدور الوظيفي الحي للفظ في العملية البيانية.

أما اسم الفاعل **"قائم"**، من الفعل "قام"، فيحمل معنى الثبات والاعتماد، ويدل على أن المعنى لا يوجد إلا قائماً في اللفظ، أي معتمدًا عليه ومعبرًا به، كما ورد في لسان العرب : "قام به : اعتنى به وتولّاه"[2]. وهذا يفيد أن المعنى لا يُفهم في ذاته، بل في علاقته باللفظ.

ويأتي اسم الفاعل **"ناظم "**ليؤسس لفكرة الربط بين اللفظ والمعنى في وحدة متناسقة، إذ هو من "نَظَمَ"، أي ضمّ ورتّب، كما قال ابن منظور: "نظم الشيء: ألّف بين أجزائه فانتظم"[3]. وقد جعل عبد القاهر الجرجاني النظم جوهر البلاغة، إذ قال إن النظم هو "تعليق الكلم بعضها ببعض، وجعل بعضها بسبب من بعض"[4].

بهذه الأسماء الثلاثة، يؤسّس الخطابي بنية حجاجية عميقة ترى أن الكلام لا يكون فصيحًا أو معجزًا إلا إذا اشتركت فيه عناصر فاعلة : لفظ يحمل، ومعنى يقوم، ورباط ينظم، وهي رؤية تُمهّد لحجته المركزية في أن الإعجاز قائم في نَظْم القرآن لا في مفرداته المجردة. وبذلك، فإن أسماء الفاعل هنا أدوات حجاجية تؤسس لمقدمات يقينية يقيم عليها دعواه في الإعجاز.

ويقول في موضع آخر : " والأمر في ذلك أبين من أن نحتاج إلى أن ندلّ عليه بأكثر من الوجود **القائم المستمر** على وجه الدهر"[5].

إنّ اسمي الفاعل **"القائم "**و**"المستمر"** يُسهمان في تثبيت الحجّة زمنيًا؛ فالإعجاز ليس حدثًا وقع في زمن النّبي ﷺ وانتهى، بل هو قائم الآن ومستمر إلى آخر الزّمان .وهذا تأكيد على أن الدليل الحجاجي لا يزول بزوال الظروف، بل هو دليل حيّ خالد.

و من المواضع التي تتجلّى فيها حجاجية **اسم الفاعل** في رسالة الخطابي قوله:

"وقد بقي صلى الله عليه وسلم يطالبهم به مدة عشرين سنة، **مظهرا** لهم النكير، **زاريا** على أديانهم، **مسفها** آراءهم وأحلامهم، حتى **نابذوه** و**ناصبوه** الحرب، فهلكت فيه النفوس وأريقت المهج وقطعت الأرحام وذهبت الأموال"[6]. في هذا القول، استخدم الخطابي عدّة أسماء فاعل لتصوير ما قام به النّبي ﷺ في دعوته لقومه، وما نتج عن تلك المواجهة من ردود فعل .

---

[1] - ينظر، فاضل السّامرائي: *بلاغة الكلمة في التّعبير القرآني*، دار عمار، عمّان، 2008، ط4، ص: 25.

[2] - ابن منظور: **لسان العرب**، تحقيق: عبد الله علي الكبير، محمد أحمد، وهاشم محمد الشاذلي، دار المعارف، القاهرة، دون تاريخ. (مادة ق و م)

[3] - ابن منظور: **لسان العرب**، مادة (ن ظ م)

[4] - عبد القاهر الجرجاني: *دلائل الإعجاز في علم المعاني*، تحقيق: محمود شاكر، مطبعة المدني، القاهرة، ص: 43.

[5] - ينظر، الخطّابيّ: بيان إعجاز القرآن، ص21

[6] - المصدر نفسه: ص ن.

فلفظ **"مُظهِرًا"** من الفعل «أظهَر» (أفعل) بمعنى أبان وكشف وبرز[1]. يدل على أن النبي ﷺ كان يُعلن إنكاره للباطل باستمرار، ولم يكن موقفه مؤقتًا أو خفيًا، بل واضحًا ومعلَنًا. وهذا فيه حجة قوية، إذ يبيّن أن التحدي القرآني لم يكن موقفًا عابرًا، بل دعوة متواصلة مبنية على ثقة وثبات.

أما **"زارِيا "**فهو من الفعل "زرى"، بمعنى عاب وانتقص وسلّط اللوم[2]. ويُقصد به الطعن والانتقاص. وقد أراد الخطابي أن يوضح أن النبي ﷺ كان يعيب أديان الجاهلية وينتقدها علنًا، وهو ما يدخل في باب الحجاج العقَدي، حيث لا يُكتفى بالسكوت، بل يُفنَّد الباطل ويُرفض.

كذلك، جاء اسم الفاعل **"مُسفِّهًا"**، من الفعل "سفّه" (فعَّل) أي حَقَّر رأيه وجعله سفيهًا قليلَ الرأي[3] ومعناه هنا اعتبار الرأي باطلاً أو سخيفًا. والمراد أن النبي ﷺ لم يكتفِ برفض أقوالهم، بل وصفها بالسّفه والجهل، في خطابٍ فيه نقض للعقليات السّائدة. وهذا شكل من أشكال الحجاج العقلي، الذي يُسقِط الآراء الباطلة ويبيّن تفاهتها.
ثم يأتي الخطابي في آخر العبارة ليقول : " حتى نابذوه وناصبوه الحرب"[4]، وهذان أيضًا اسما فاعل من "نابذ" و"ناصب."

- فـ"نابذوه" أي رفضوه وطرحوا دعوته جانبًا، وهذه الكلمة توحي بأنهم اختاروا موقف المواجهة بدلًا من الحوار.
- و"ناصبوه" الحرب، أي قابلوه بالعداء وهاجموه مباشرة، وهنا يتحوّل الخلاف إلى صراع.

وهذان الاسمان يعكسان حجاجًا غير لفظي: فالخصم حين يعجز عن مجاراة الحجة، يلجأ **إلى** العنف والمواجهة، ما يُعدّ دليلاً ضمنيًّا على فشله في الحجاج الكلامي، وهذا ما أراد الخطابي إبرازه.
أسماء الفاعل في هذا الموضع (مُظهر، زارٍ، مُسفِّه، نابذ، ناصب) تُستخدم حجاجيًا لتصوير ثبات النّبيّ ﷺ في دعوته، وقوة بيانه، وموقفه الجريء من باطل قومه، في مقابل ضعفهم الحجاجي الذي دفعهم إلى رفضه ومعاداته.

---

[1] - ابن منظور: *لسان العرب*، مادّة (ظهر)
[2] - الفيروزآبادي مجد الدين: *القاموس المحيط*، مؤسسة الرسالة، بيروت، 2005م، ط8، مادّة (زرى).
[3] - ابن منظور: *لسان العرب*، مادّة (سفه).
[4] - ينظرالخطّابيّ: بيان إعجاز القرآن ، ص21

2- حجاجية اسم المفعول:

يلعب اسم المفعول دورا مهمّا في بناء الحجاج إذ يعدّ من أبرز الرّوابط الحجاجيّة التي تدخل في توجيه الحجاج، وتساعد على اتّساق النّصّ وانسجامه، ولقد أضاف اسم المفعول على الخطاب انسجاما كلّيا وهذا عائد إلى قيامه بعمل الفعل ومعناه "مأخوذ من الفعل وهو جار عليه في حركاته وسكناته وعدد حروفه كما كان اسم الفاعل كذلك ... وهو يعمل عمل فعله الجاري عليه فنقول هذا رجلٌ مضروب أخوه"[1].

و من المواضع التي تتجلّى فيها حجاجية **اسم المفعول** في رسالة الخطابي قوله:

"فلم نجد شيئًا منها يثبت على النّظر، أو يستقيم في القياس، ويطّرد على المعايير، فوجب أن يكون ذلك المعنى **مطلوبًا** من ذاته، و**مستقصًى** من جهة نفسه"[2].

في هذا السّياق، يردّ الخطّابي على بعض التّفسيرات التي حاولت أن تربط إعجاز القرآن بأسباب خارجة عنه، كفصاحة النبيّ ﷺ أو الظروف النّفسية والاجتماعية التي أثّرت في المتلقّين. وهو هنا يُبطِل هذه الدعاوى بالحُجّة والنّظر العقلي، ويعتمد في ذلك على توظيف **أسماء المفعول**، لما لها من دور فعّال في بناء التّصوّر الحجاجي القائم على النّتيجة المحصّلة.

مطلوبًا

اسم مفعول من الفعل طلب، ومعناه: ما يُسعى إليه ويُراد.

الخطابي لا يكتفي بأن يقول إن إعجاز القرآن موجود، بل يؤكّد أنه غايةٌ مقصودة في ذات النصّ، وليست ناتجة عن ظرف خارجي. وهذا يُبطل الحُجج التي ترى الإعجاز نابعًا من الإيحاء فقط.

مستقصى

اسم مفعول من استقصى، أي: استُوفي وأُخِذ على وجه الكمال والدّقة.

وهنا يفيد أن ذلك المعنى (أي الإعجاز) قد بُحث عنه داخل النصّ نفسه بدقة وتقصٍّ، وليس بمجرد ملاحظة عابرة.

و من مواضع اسم المفعول في رسالة الخطابي قوله: " وهذه أقسام الكلام الفاضل **المحمود**، دون النوع الهجين **المذموم**، الذي لا يوجد في القرآن شيء منه البتة"[3]

[1] - ينظر، سهيلة سلطاني : ملامح التّفكير التّداولي في كتاب إعجاز القرآن للباقلاني، ص132

[2] - ينظر، الخطّابيّ: بيان إعجاز القرآن ، ص26

[3] - المصدر نفسه: ص26

المحمود

اسم مفعول من الفعل حَمِدَ، أي مَن أُثني عليه بالخير، ويُطلق على كل فعل أو خلقٍ أو قولٍ يُرضى عنه شرعًا أو عقلًا أو عرفًا. وغالبًا ما يُقرَن بالصفات الفاضلة كـ"القول المحمود"، و"الخُلق المحمود"[1]

هنا لا يتحدّث الخطابي عن مجرد كلام فصيح أو جيد، بل عن كلام نالت بلاغته اعترافًا وتقديرًا عامًا.

استعمال "المحمود" بدل "الحسن" أو "الجميل" مثلاً يُعطي إيحاء بأن هذا النوع من الكلام له مشروعية ذوقية وعقلية راسخة عند أهل البيان.

باسم المفعول هذا، يُقرّر الخطابي أنّ الكلام القرآني ينتمي إلى الصنف الذي حُمِد وثُني عليه من قِبل الفصحاء والبلغاء، مما يضفي شرعية بلاغية على إعجازه.

المذموم

اسم مفعول من ذمَّ، أي مَن لُوّم وعُيب وقُدِح فيه، وهو عكس المحمود. يُطلق على الأقوال والأفعال الممقوتة عند العقلاء، والتي تُستنكر شرعًا أو ذوقًا أو خُلقًا، مثل "الكذب المذموم"، و"الجدل المذموم[2]

اسم مفعول من ذمّ، أي ما عابه الناس واستقبحوه.

وهو وصف موجه للكلام "الهجين"، أي الركيك أو المنحرف عن أساليب العرب البلاغية.

يقابل "المحمود" في تقابل ثنائي واضح بين الجيد والرديء، في ترسيمة حجاجية تقوم على المفاضلة القطعية.

يوضّح الخطابي أن القرآن منزه تمامًا عن النوع المذموم من الكلام، أي أنه خالٍ من كل ما يُستقبح أو يُنقد عند أهل اللسان .واستعمال "المذموم" لا يدل فقط على ركاكة لغوية، بل أيضًا على سقوط حجاجي وبلاغي، وهو ما يتنزّه عنه النصّ القرآني بنظر الخطابي.

3- حجاجية اسم التّفضيل

يبيّن ابن يعيش في شرحه لاسم التفضيل الذي يكون على وزن (أفعل) أنّها صيغة لا تقتصر على المفاضلة اللّغوية فحسب، بل تكتسب أبعادًا دلالية وبلاغية تُستخدم لإبراز التّميّز أو الفضل أو العلوّ في المعنى، يقول: " وإنما صيغ [اسم التفضيل] ليفرّق به بين شيئين اشتركا في صفة، فزاد أحدهما على الآخر فيها، فهو يدل على الغلبة والتّفوق، وهو باب بلاغي في نفسه"[3]. هذا التعليق يُفهم منه أن اسم التفضيل يُستعمل في الحِجاج لتقرير تفوق

---

[1] - ابن منظور: *لسان العرب*، مادة (حمد): «والحمد نقيض الذمّ، وهو الثناء بالجميل على الفعل الاختياري... والمحمود» ضد المذموم

[2] - الفيروزآبادي: *القاموس المحيط*، مادة "ذمّ": « ذمَّه: عابه ولامه وعبّر عن نقصه، والمذموم خلاف المحمود»

[3] - ينظر، ابن يعيش: *شرح المفصل*، ص 104.

طرف على آخر في صفة معينة، ويُستخدم لتقوية الموقف الخطابي بإظهار الأرجحية، ومن ثم فهو وسيلة لإقناع المتلقّي عبر منطق التّفوّق.

يمثل اسم التّفضيل في خطاب الخطّابي عن إعجاز القرآن أداةً حجاجية بالغة الأهمية، تتجاوز الاستخدام النّحوي إلى أداء دلالي يُبرز من خلاله تفوق النّصّ القرآني على غيره من الكلام البشري. فالخطابي يوظّف هذه الصّيغة ضمن نسق بلاغيّ يهدف إلى الإقناع العقلي والذّوقي، وإثبات الانفراد القرآني في أعلى درجات البيان. ومن مواضعه قوله :

"حتى لا ترى شيئًا من الألفاظ **أفصح** ولا **أجزل** ولا **أعذب** من ألفاظه، ولا ترى نظمًا **أحسن** تأليفًا، و**أشد** تلاؤمًا وتشاكلًا من نظمه"[1]

نلاحظ كيف أن الخطابي:

قدَّم الحكم بالتجربة والتأمل، ثم دعّمه بأسماء التفضيل (**أفصح، أجزل، أعذب، أحسن، أشدّ**)

ألغى المنافسة المحتملة بنفي وجود شيء آخر يماثل القرآن.

استعمل صيغة التّفضيل لإثبات تفوّق القرآن، لا بمجرد الوصف، بل بالمقارنة الحاسمة التي تلغي إمكان المعارضة.

تتوافق هذه المواضع مع ما قرّره ابن يعيش في شرحه للمفصل، إذ قال:

"واسم التّفضيل يدل على غلبة أحد المتشاركين في صفة على الآخر، وهو من أقوى ما يُحتجّ به في وصف الزيادة والتميّز"[2].

فاسم التفضيل في خطاب الخطابي ليس شكليًا، بل حُجّة قائمة بذاتها، تُقنع المتلقي بأنّ النّصّ القرآني قد بلغ الغاية القصوى في البلاغة، فلا يُلحق ولا يُدانى.

4-حجاجية الصّفة المشبهة:

تُعدّ **الصفة المشبهة** من الأدوات الصرفية التي تتسم بثبات الدلالة واستمراريتها، فهي تفيد وصفًا راسخًا في الموصوف لا يزول، " ولهذا استثمرها الخطّابي في بناء حجّته على إعجاز القرآن، لا بوصفها وسيلة بيان فقط، بل باعتبارها مكوّنًا بلاغيًا حجاجيًا. وقد أشار ابن يعيش إلى هذه القوة الحجاجية للصفة المشبهة حين قال: "الصّفة المشبهة أقوى في الدلالة من اسم الفاعل؛ لأنها تدل على معنى مستقر لازم، بخلاف اسم الفاعل الذي يدل على الحدوث والتجدد غالبًا"[3].

ومن أبرز المواضع التي تبرز فيها الصفة المشبهة قوله:

"فأما أن يكون قد قبِلت في النفوس نقبة بكونه معجزًا للخلق، ممتنعًا عليهم الإتيان بمثله على حال، فلا موضع لها"[4]

---

[1] - ينظر، الخطّابيّ: بيان إعجاز القرآن، ص27.

[2] - ينظر، ابن يعيش: *شرح المفصل*، ص100.

[3] - المرجع نفسه: ص23 .

[4] - ينظر، الخطّابي: بيان إعجاز القرآن، ص21

"معجز" و"ممتنع:"

معجز :هي صفة مشبهة باسم الفاعل من الجذر (ع ج ز)، وتدل على الرسوخ والثبات، أي أن القرآن ليس معجزًا عرضًا أو في موقف معين، بل هو معجز بطبيعته الثّابتة.

ممتنع : من الفعل "امتنع"، وهو وصف ثابت يفيد الاستحالة الدائمة لا العارضة، أي أن الإتيان بمثله غير ممكن على الإطلاق.

من خلال هاتين الصفتين، يرسّخ الخطّابي حُجّته على أن إعجاز القرآن **صفة ملازمة** له لا تنفكّ عنه، ولا تتوقف على زمن أو ظرف معين.

الصفة المشبهة هنا لا تقوم بوظيفة وصفية فقط، بل تُستخدم كدعامة لغوية لتقوية الحُكم العقلي الذي ينفي إمكان المعارضة.

فحين يقول: "معجز"، فهو لا يعني أنه أعجز القوم فحسب، بل يعني أن الإعجاز خاصية بنيوية ملازمة له، وهو ما يجعل الحُجّة أمتن.

ومن المواضع البارزة أيضًا قول الخطّابي:

"فمنها البليغ الرّصين الجزل، ومنها الفصيح القريب السّهل، ومنها الجائز الطّلق الرّسل"[1].

في هذا السياق، استخدم الخطّابي صفات مشبهة مثل :**الرصين، الجزل، القريب، السهل، الطلق، الرسل،** كلها صفات مشبهة باسم الفاعل، تفيد ثبوت المعنى ورسوخه في الموصوف.

البَليغ :

اسم فاعل من الفعل "بَلَغَ"، ويُراد به في علم البيان من **يبلغ غاية التأثير في النفس** من حيث اللفظ والمعنى، وهو في أعلى درجات الفصاحة والبلاغة [2].

يُستخدم لإثبات أن مستوى هذا الصنف من الكلام أرقى من غيره تأثيرًا وحكمة.

الرّصين :

صفة مشبهة من "رَصُن"، تدل على **الثبات في المعنى والمتانة في الأسلوب،** وتُوصف بها الأقوال المحكمة المحكمة البناء [3].

بيان أنّ هذا الصنف متماسك لا اضطراب فيه، مما يؤهله لاحتلال مكانة حجاجية عليا.

الجَزْل:

صفة تدل على **القوة والفخامة في الكلام،** يقال: "كلام جزل"، أي فخم متين في ألفاظه ومعانيه[4]

يُبرز التفوق البلاغي للقسم الأول من الكلام في السُّموّ والوقع.

---

[1] - المصدر السابق: ص26.

[2] - ابن منظور: *لسان العرب*، مادة (بلغ)

[3] - ابن منظور: *لسان العرب*، مادة (رصن)

[4] - الجوهري: *الصّحاح في اللغة*، مادة (جزل)، دار العلم للملايين، بيروت، 1990م، ط4.

الفصيح:

صفة لمن **سلم لسانه من العيوب** وأتى بالكلام السليم لفظًا ومعنى، من غير تكلّف أو ضعف لغوي[1]

يُظهر وضوح هذا القسم من الكلام وسلاسته، مما يزيد في إقناع المتلقي.

القريب

من مادة (قرب)، والقرب يقابل البُعد، ويُستعمل مجازًا للدلالة على السلاسة والوضوح في الفهم[2] .

تعزيز حُجّية البيان من جهة سهولة التلقي وسرعة الفهم.

السهل:

من مادة (سهل)، وهو ضد الصعب، ويطلق على الكلام الواضح المستساغ[3].

صفة مشبهة تعني **الخلو من التعقيد،** وسهولة النطق والمعنى، ضدّ "الوعر"

إظهار قابلية الخطاب للإفهام دون حاجة إلى تأويل أو شرح مطوّل.

الجائز:

من مادة (جوز)، أي المُباح أو المتيسر، ويُستعمل في الكلام للدلالة على إطلاق الأسلوب[4].

بمعنى **الذي يجوز استعماله في اللغة من غير خطأ، لكنه ليس من أعلاها** ، بل هو مقبول ولكنه دون غيره رتبة.

تمهيد لتصنيفه ضمن المستوى الأدنى في البلاغة، مقارنة بالقرآن.

الطلق:

من مادة (طلق)، الطلق من الكلام: السلس الخالي من التعقيد.

من طَلُق اللسان، أي **سلس وسهل لا تعقيد فيه،** يقال: "كلام طلق"، أي منساب خفيف[5] .

وصف الانسياب في الأداء مع البساطة، كمدخل لنقد هذا المستوى الأدنى.

الرّسل:

من مادة (رسل)، يقال: كلام رَسْل، أي لين سهل غير متكلف.

بمعنى **المطلق غير المشدود،** يقال: "كلام رَسْل" أي متهاون في متانته، من غير تكثيف أو سبك متين [6]

بيان ضعف التماسك في هذا النمط من الكلام، مما يُضعف حُجّيته مقارنة بالقرآن.

هذه الصّفات تؤسس لتقسيم هرمي لأجناس الكلام، يرتكز على صفات ثابتة لا متغيرة.

---

[1] - ابن فارس: *مقاييس اللغة*، مادة (فصح)، دار الفكر، بيروت، 1991م.

[2] - الزبيدي: *تاج العروس*، مادة (قرب)، دار الهداية، الكويت، 1994م.

[3] - الراغب الأصفهاني: *مفردات ألفاظ القرآن*، مادة (سهل)، دار القلم، دمشق، 2009م، ط4

[4] - ابن سيده: المحكم والمحيط الأعظم، مادة (جوز)، دار الكتب العلمية، بيروت، 2000م، ط1 .

[5] - الفيروزآبادي: *القاموس المحيط*، مادة (طلق)، مؤسسة الرسالة، بيروت، 2005م، ط8.

[6] - ابن منظور: *لسان العرب*، مادة (رسل)

الصفة المشبهة هنا تُكسب الحُكم الحجاجي قوة الرسوخ والثبات، مما يدعم دعوى الإعجاز البلاغي للقرآن.
فاستناد الخطّابي إلى الصّفة المشبهة في وصف القرآن بأنه "معجز" و"ممتنع" و"رصين" و"جزل" يجعل الدلالة أشد رسوخًا، ويضفي على الوصف طابعًا دائمًا، يعزز موقفه الحجاجي أمام من ينكر الإعجاز أو يردّه إلى ظروف مؤقتة.

5- حجاجية صيغ المبالغة

عدّت صيغ المبالغة من الأدوات الصّرفية التي تُستخدم للدلالة على الكثرة وشدة الاتصاف بالفعل، وهي بهذا تؤدي وظيفة حجاجية فعالة في تقوية الأحكام وتضخيم الأثر المعنوي.
وقد أشار بعض علماء اللغة إلى القيمة البلاغية والحجاجية لصيغ المبالغة، يقول السّيوطي:
"صيغ المبالغة تفيد التّوكيد، وتُراد بها المبالغة في الوصف لإقناع السامع بكمال الموصوف أو نقصه"[1] .
ومن أبرز المواضع التي استعمل فيها الخطّابي صيغ المبالغة، قوله:
"وقد يُعَدُّ من ألفاظ الغريب في نُعوت الطويل نحو من ستين لفظة، أكثرها بشِعٌ شَنِعٌ"[2].
صيغتي المبالغة "بشِع" و"شنِع:"

- **بشِع** :من الجذر (ب ش ع)، وهي صيغة مبالغة تدل على شدة القُبح والتنفير[3].
- **شنِع** :من الجذر (ش ن ع)، وهي أيضًا صيغة مبالغة تفيد الفظاعة والقبح البالغ المستهجن[4].

هاتان الصيغتان لا تُستعملان لوصف القبح العادي، بل القبح المنفّر والمُستقبح بشدة.

- صيغ المبالغة هنا لا تعمل عمل الزينة اللغوية، بل تؤدي وظيفة تقويضية، إذ تهدم بقوة ما زعمه بعض المشككين في الإعجاز، ممّن استشهدوا بشعر طويل فيه ألفاظ غريبة.
- بوصفه هذه الألفاظ بأنها "بشعة شنيعة"، ينقلها من مجرد الغرابة إلى القباحة المفرطة، مما يُضعف حجية من استشهد بها، ويُعزز حُجّته في أن مثل هذه النّماذج لا تُقارَب بجزالة القرآن وفصاحته.

وعليه، فإن استعمال الخطّابي لها في مقام الهدم والرّد، يضيف إلى الحُجّة طابعًا نفسيًا مؤثّرًا، فيربط القارئ برداءة المعارضة وشناعتها، مما يُرجّح كفة دعوى الإعجاز.

---

[1] - السّيوطي: همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، 2000، ج1، ط1، ص 89
[2] - ينظرالخطّابي: بيان إعجاز القرآن،، ص 37
[3] - ابن منظور: *لسان العرب*، مادة (بشع)
[4] - الفيروزآبادي: *القاموس المحيط*، مادة (شنع)

مما سبق يمكن القول أنّ هذا الفصل يتناول الأدوات اللغوية المختلفة التي تُستخدم في بناء الحجج والإقناع في النصوص العربية، وهو مقسم إلى ثلاثة محاور رئيسية تغطي جوانب متنوعة من الآليات الحجاجية، وهي كالآتي:

أوّلا/ الروابط الحجاجية: وتشمل الأدوات النحوية التي تربط بين الجمل والأفكار لتكوين حجة متماسكة:

- **الرابط "لأن** :"يقدم السبب والتعليل المباشر للحكم أو الرأي المطروح.
- **الرابط "لكن** :"يعرض الاستدراك والمقابلة بين فكرتين متضادتين.
- **لام التعليل** :تبين الغرض والهدف من الفعل أو القول.
- **"حتى** :"تفيد الغاية والانتهاء، وتقوي الحجة بالوصول لنقطة معينة.
- **المفعول لأجله** :يوضح السبب وراء القيام بالفعل، مما يعزز المنطق الحجاجي.

ثانياً: العوامل الحجاجية: وتركز على الأدوات التي تؤثر في قوة الحجّة ودرجة الإقناع

- **"إنما** :"أداة حصر تقوي الحجة بالتركيز على عنصر واحد وإبطال ما عداه.
- **النفي والاستثناء** :يستخدمان لتأكيد المعنى المقصود عبر نفي ما يناقضه، مما يجعل الحجة أكثر حسماً ووضوحاً.

ثالثاً: حجاجية الوصف: وتتعلق بالصيغ الصرفية التي تحمل دلالات وصفية تخدم الغرض الحجاجي

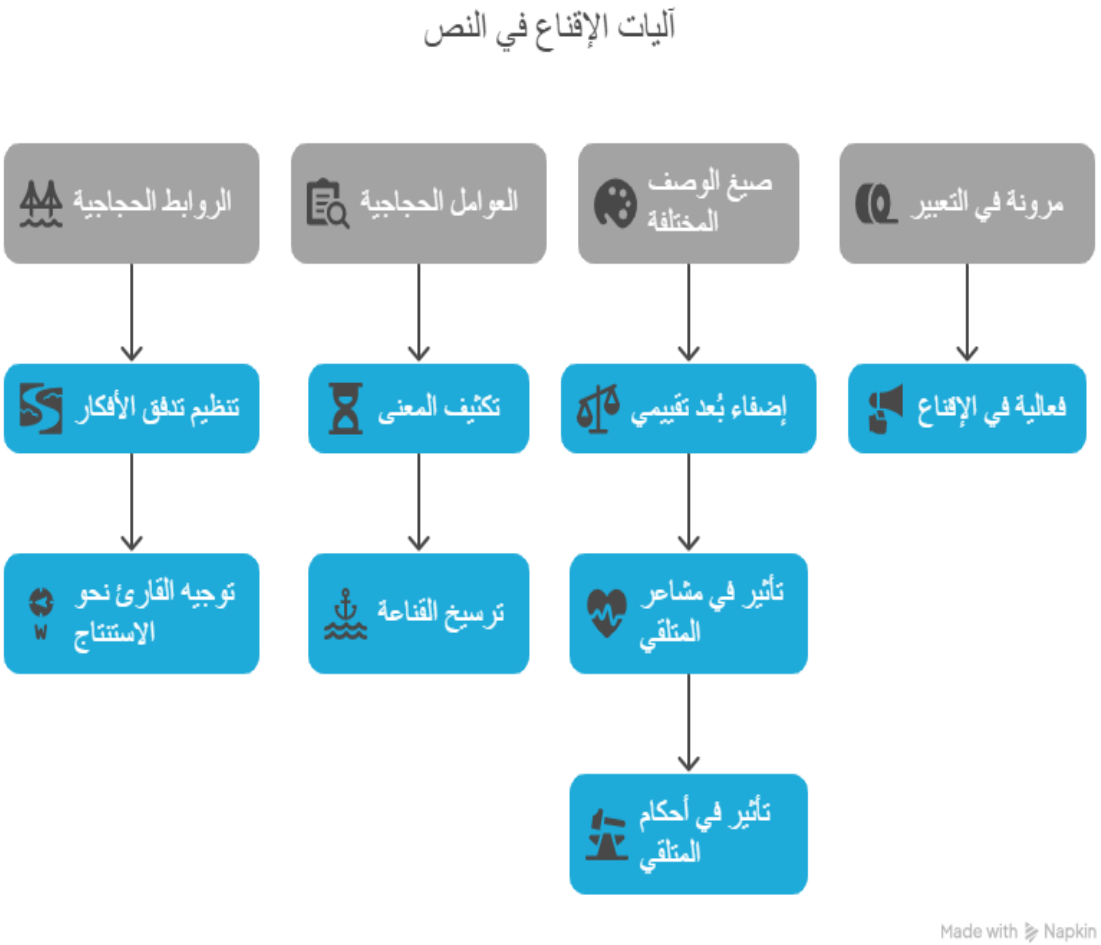
اسم الفاعل :يدل على من قام بالفعل، ويضفي صفة الثبات والاستمرار.
اسم المفعول :يشير لمن وقع عليه الفعل، ويبرز حالة التأثر.
اسم التفضيل :يقارن بين طرفين لإثبات تميز أحدهما، مما يقوي الحجة.
صيغة المبالغة :تؤكد كثرة الصفة أو شدتها، فتجعل الوصف أكثر إقناعاً.
الصفة المشبهة :تدل على ثبوت الصفة في الموصوف، مما يعطي قوة للحكم المطروح.

ويقدم هذا الفصل إطاراً شاملاً ومنهجياً لفهم كيفية استخدام اللغة العربية كأداة إقناع قوية ومؤثرة. تتكامل المحاور الثلاثة لتشكّل منظومة لغوية متماسكة تخدم الغرض الحجاجي على مستويات مختلفة.

فعلى مستوى التركيب، تعمل الرّوابط الحجاجية كجسور منطقية تنظّم تدفّق الأفكار وتوجه القارئ نحو الاستنتاج المطلوب، بينما تقوم العوامل الحجاجية بتكثيف المعنى وترسيخ القناعة من خلال آليات الحصر والتّأكيد.

أما على مستوى الصّرف، فإنّ صيغ الوصف المختلفة تضفي على النّص بُعداً تقييمياً يؤثّر في مشاعر المتلقّي وأحكامه، وهذا التّنوع في الآليات يتيح للكاتب أو المتحدّث مرونة في التّعبير وفعالية في الإقناع، حيث يمكن توظيف هذه الأدوات منفردة أو مجتمعة حسب طبيعة الموضوع والغرض من البحث.

كما أن فهم هذه الآليات يساعد المتلقي على تحليل النّصوص تحليلاً نقدياً وإدراك الاستراتيجيات الحجاجية المستخدمة فيه، وبذلك يمثل هذا الفصل أساساً نظرياً وعملياً لدراسة البلاغة الحجاجية في اللغة العربية، ويفتح المجال أمام تطبيقات واسعة في مجالات التحليل النصي والكتابة الأكاديمية في حقل التداولية. والشكل التالي يوضّح كيفية اشتغال آليات الحجاج في الخطاب:



الفصل الثاني: الآليات البلاغيّة

أوّلا/ الــبــيـــان

1- أدوات البيان في فكر الخطّابي

2- توظيف التشبيه كآلية حجاجية عند الخطّابي

3- توظيف الاستعارة كآلية حجاجية عند الخطّابي

4- توظيف الكناية كآلية حجاجية عند الخطّابي

5- المحاججة بالمجاز العقلي والمجاز المرسل

6- الاستراتيجيات التداولية لأدوات البيان

ثانيا/ توظيف أدوات البديع كآليات حجاجية

1- وظائف أدوات البديع في التراث البلاغي العربي

2- الأدوات البديعية الأساسية وآليات توظيفها

3- البعد التداولي لأدوات البديع في منظور الخطّابي

ثالثا/ حضور الطباق والمقابلة والثنائيات الضدية المضمرة في بيان إعجاز القرآن للخطّابي

1- الطباق عند الخطّابي (آلية الكشف عن التناسق القرآني)

2- المقابلة في منهج الخطّابي (أداة التوازن والتماثل)

3- الثنائيات الضدية المضمرة

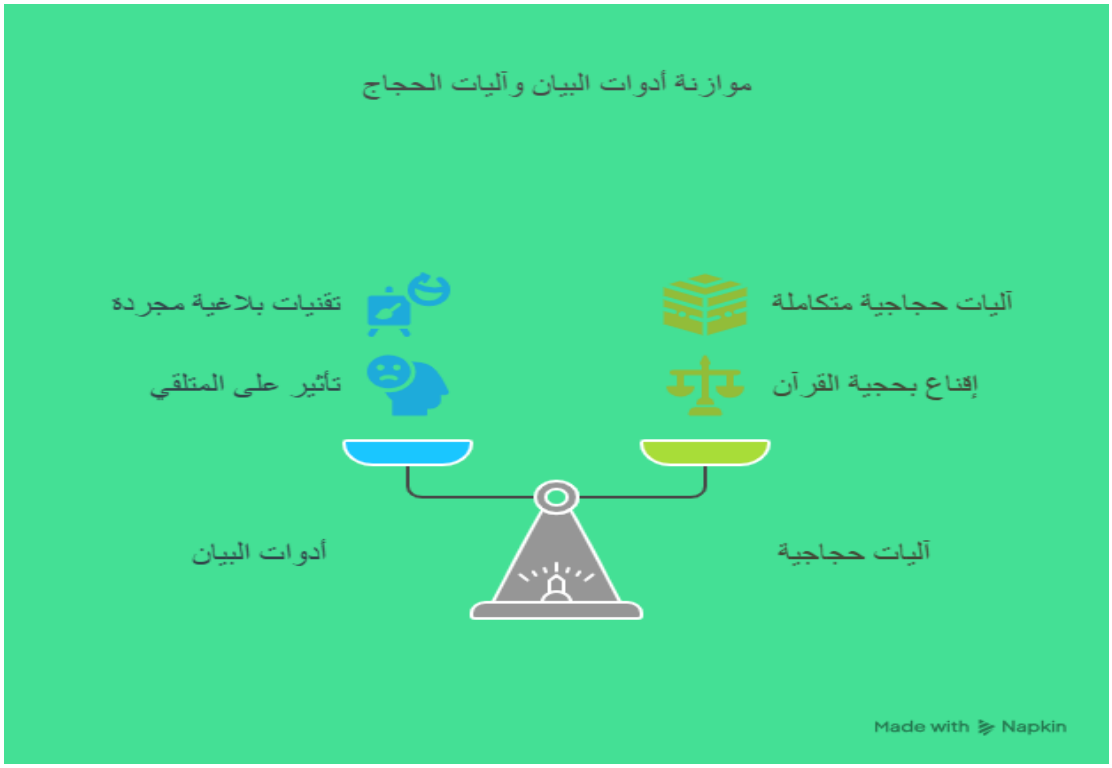
الفصل الثاني: آليات الحجاج البلاغيّة.

أوّلا/ الـــبـــيـــان:

تميّز الخطّابي في تناوله لأدوات البيان القرآنية، حيث لم يكتف بوصف هذه الأدوات وتصنيفها، بل سعى إلى كشف وظائفها الحجاجية وتأثيرها في المتلقي أيضا، إذ اعتبر أن أدوات البيان آليات حجاجية متكاملة تهدف إلى الإقناع والتأثير، فوظّف استراتيجيات تداولية متنوّعة مثل مراعاة السياق والمقام والتدرّج في الإقناع لتحقيق أهدافه في إثبات الإعجاز القرآني.

حيث سعى إلى إثبات إعجاز القرآن الكريم من خلال استخدام أدوات البيان كآليات حجاجية مقنعة ومؤثرة، وهذا الكتاب قيد الدراسة يمثّل نقطة تحوّل في دراسة الإعجاز القرآني، إذ انتقل الخطّابي من المقاربة اللغوية المحضة إلى المقاربة التداولية التي تُعنى بالسياق والوسائط، وفاعلية التأثير والإقناع وغيرها.

وتنبثق فكرة هذا الفصل من فرضية مفادها أنّ الخطّابي لم يكتف بعرض أدوات البيان كمجرّد تقنيات بلاغية معيارية مجرّدة، بل وظّفها كآليات حجاجية متكاملة تهدف إلى إثبات الإعجاز القرآني شكلا ومضمونا، وذلك ما يظهر من خلال التّأثير في المتلقي وإقناعه بحجّية القرآن الدّامغة، والشّكل التّالي يوضّح ذلك:



وفي هذا المبحث الذي يعتمد على تحليل الاستراتيجيات التداولية التي اعتمدها الخطّابي في توظيف أدوات البيان، والآليات الحجاجية التي استخدمها لتحقيق الإقناع، وبيان أثر السياق التداولي في فهم النص القرآني وتفسيره، التي يتلمّسها القارئ من الأبعاد التداولية للخطاب القرآني التي أراد الخطّابي أن يجمعها في كتابه.

2/1- الوظيفة الحجاجية لأدوات البيان:

تكمن الوظيفة الحجاجية لأدوات البيان في قدرتها على إقناع المتلقي وتوجيه فكره نحو الحقائق المراد إثباتها، وقد ميّز الخطّابي بين مستويين من التّأثير: المستوى المعرفي الذي يخاطب العقل من خلال الاستدلال والبرهان، والمستوى الوجداني الذي يخاطب العاطفة من خلال التأثير والإقناع النفسي.

ويرى الخطّابي أنّ أدوات البيان في القرآن الكريم تحقّق هذين المستويين بطريقة متوازنة ومتكاملة، ممّا يجعلها أكثر فعالية في تحقيق الإقناع والتأثير من أيّ أسلوب بياني آخر.

إنّ الوظيفة الحجاجية لأدوات البيان تتجلّى في قدرتها على تحويل المعاني المجرّدة إلى صور محسوسة ومعاني ملموسة، ممّا يسهّل على المتلقي فهمها واستيعابها[1]. وقد أشار الخطّابي إلى أنّ القرآن الكريم يستخدم التشبيه والاستعارة والكناية لتقريب المعاني الغيبية إلى الأذهان، وجعلها أكثر وضوحًا وتأثيرًا على المتلقي، وهذا ما يُطلق عليه في الدراسات التداولية الحديثة "الإقناع التصويري (Visual Persuasion) "الذي يعتمد على استخدام الصور الذهنية لتحقيق التأثير المطلوب على القارئ.

2- توظيف التشبيه كآلية حجاجية عند الخطّابي:

1/2- مفهوم التشبيه ووظيفته الحجاجية:

يُعرّف علي الجارم ومصطفى أمين التشبيه بأنّه "بيان أنّ شيئا أو أشياء شاركت غيرها في صفة أو أكثر"[2]. والتّشبيه في القرآن الكريم لا يقتصر على الجانب الجمالي، بل يحمل وظيفة حجاجية مهمّة تتمثّل في تقريب المعاني المجرّدة إلى الأذهان وجعلها أكثر

[1]- Voir, Smith, A., & Brown, P. (2015). Cognitive and Emotional Dimensions of Persuasion. Rhetoric Quarterly, p. 156.

[2]- ينظر، علي الجارم ومصطفى أمين: البلاغة الواضحة، دار الفكر للطباعة والنّشر والتوزيع، بيروت- لبنان، 2009، ط1، ص17

وضوحًا وتصويرا، وأنّ القرآن الكريم يستخدم التشبيه لإقناع المتلقي من خلال ربط الغائب بالشاهد والمجهول بالمعلوم، ممّا يسهّل عملية الفهم والاستيعاب.

ويُميّز الخطّابي بين أنواع التشبيه من حيث وظيفتها الحجاجية، فالتشبيه التمثيلي يهدف إلى إثبات حقيقة معيّنة من خلال المقارنة مع حقيقة مشابهة، والتشبيه البليغ يهدف إلى التأثير النفسي من خلال الإيحاء والتلميح، أمّا التشبيه المفصّل فيهدف إلى التوضيح والتفسير من خلال التفصيل والشرح، وقد لاحظ أيضا أنّ القرآن الكريم يوظّف كلّ نوع من هذه الأنواع في المقام المناسب له، ممّا يحقّق أقصى درجات التأثير والإقناع.

2/3- نماذج تطبيقية للتشبيه الحجاجي:

يقدّم الخطّابي نماذج متعدّدة للتشبيه الحجاجي في القرآن الكريم، منها قوله تعالى: "۞**مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف**۝"[1]، حيث يُبيّن الخطّابي أنّ هذا التشبيه يحمل حجة قوية ضد المنكرين من خلال تصوير حقيقة أعمالهم بصورة محسوسة ومؤثرة ومقنعة.

ويُحلّل الخطّابي عناصر هذا التشبيه ليُظهر كيف أنّ كلّ عنصر يُعزّز من القوة الحجاجية للمعنى، فالرماد يدلّ على الهشاشة والضعف، والريح الشديدة تدلّ على قوة الاختبار، واليوم العاصف يدلّ على شدّة الموقف.

كما يُحلّل الخطّابي قوله تعالى: "**والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء**"[2]، مُبيّنًا أنّ هذا التشبيه يحمل حجة عقلية ونفسية في الوقت نفسه، فهو يُوضّح للعقل حقيقة أعمال الكافرين من خلال المقارنة مع السراب المعروف، ويُؤثّر في النفس من خلال إثارة مشاعر الخيبة والحسرة.

وقد أكّد الخطّابي على أنّ هذا النوع من التشبيه يُعدّ من أقوى الأساليب الحجاجية؛ لأنّه يجمع بين الإقناع العقلي والتأثير الوجداني في صورة واحدة متكاملة، تنهض بصورة المشهد الذي لم يحدث بعد، وهذا النوع من التشبيه الذي يجسّد مقولة شرح الغائب بالشاهد المذكورة آنفا[3].

---

[1]- القرآن الكريم، سورة إبراهيم، الآية 18.
[2]- سورة النور: الآية 39.
[3]- الخطّابي: بيان إعجاز القرآن، ص167.

3- توظيف الاستعارة كآلية حجاجية عند الخطّابي:

1/3- مفهوم الاستعارة ووظيفتها التداولية:

يُعرّف علي الجارم ومصطفى أمين الاستعارة بأنّها "استعمال اللفظ في غير ما وُضع له لعلاقة المشابهة مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الحقيقي"[1]. وقد أكّد الخطّابي أنّ الاستعارة في القرآن الكريم تتجاوز مجرّد التزيين البلاغي لتصبح آلية حجاجية فعّالة في إثبات الحقائق الإيمانية والتشريعية.

ويرى الخطّابي أنّ الاستعارة تحقّق وظيفة تداولية مهمّة من خلال خلق ترابط ذهني بين المعنى المستعار والمعنى المستعار له، ممّا يُساعد على تثبيت المعنى في الذهن وتعميق تأثيره في المتلقي[2].

ويُميّز الخطّابي بين الاستعارة التصريحية والاستعارة المكنية من حيث وظيفتهما الحجاجية، فالاستعارة التصريحية تهدف إلى الإقناع المباشر من خلال طرح المعنى بصراحة ووضوح ومباشرة، بينما الاستعارة المكنية تهدف إلى التأثير غير المباشر من خلال الإيحاء والتلميح؛ لأن المتلقي يهتدي إلى المعنى عن طريق مجموعة من الاستلزامات التي يجريها بعقل وخياله، أي يصل إلى المعنى عن طريق التفكير والتصرّف تركيب الجمل.

وقد لاحظ الخطّابي أنّ القرآن الكريم يستخدم كِلا النوعين بطريقة متوازنة ومتكاملة، حيث تُستخدم الاستعارة التصريحية في المقامات التي تتطلّب الوضوح والمباشرة، وتُستخدم الاستعارة المكنية في المقامات التي تتطلّب التأثير العميق والتأمّ؛ لأن الاستعارة المكنية أبلغ من التصريحية في الإيحاء الدلالي.

2/3- الاستعارة والحجاج القرآني:

يُحلّل الخطّابي العديد من الاستعارات القرآنية ليُظهر قوّتها الحجاجية، منها قوله تعالى: **"واخفض لهما جناح الذل من الرحمة"**[3]، حيث يُبيّن الخطّابي أنّ استعارة "جناح الذل" تحمل حجة قوية في وجوب برّ الوالدين من خلال تصوير التواضع بصورة الطائر الذي يخفض جناحه لحماية ورعاية فراخه.

---

[1]- علي الجارم ومصطفى أمين: البلاغة الواضحة: ص59.

[2] - Voir, Smith, A., & Brown, P. (2015). Cognitive and Emotional Dimensions of Persuasion. Rhetoric Quarterly, p. 201.

[3]- الإسراء: الآية 24.

ويُؤكّد الخطّابي أنّ هذه الاستعارة تُحقّق تأثيرًا حجاجيًا مضاعفًا لأنّها تُقدّم الحجة العقلية والتأثير العاطفي في الوقت نفسه، فالأول يذكّر برعاية الآباء للأبناء في الصغر والتضحية من أجلهم، أمّا الثاني فيظهر من خلال صورة الفراخ (ضعف) وما ينتاب الوالدين عند الكبر[1].

كما يُحلّل الخطّابي قوله تعالى: **"وآتوا اليتامى أموالهم ولا تتبدّلوا الخبيث بالطيّب"**، مُبيّنًا أنّ استعارة "الخبيث" و"الطيّب" للمال الحرام والحلال تحمل حجة حسّية قوية تُساعد على إقناع المتلقي بحرمة أكل مال اليتامى.

وقد أكّد الخطّابي أنّ هذا النوع من الاستعارة يُعدّ من أكثر الأساليب فعالية في التأثير على المتلقي؛ لأنّه يُحوّل المعنى المعنوي إلى معنى حسّي يُدرك، ممّا يجعله مؤثّرا في النفس، قريب المأخذ واضح الصورة؛ لأن تجسيد المعنوي في صورة المحسوس يقرّب الصورة من الذهن ويوضّح وشائج الشبه بين الشاهد والغائب.

4- توظيف الكناية كآلية حجاجية عند الخطّابي:

1/4- مفهوم الكناية وخصائصها الحجاجية:

يُعرّف السّيد أحمد الهاشمي الكناية بأنّها "لفظ أُريد به غير معناه الذي وضع له، مع جواز إرادة المعنى الأصلي لعدم وجود قرينة مانعة من إرادته"[2]. وقد أكّد الخطّابي أنّ الكناية في القرآن الكريم تُعدّ من أقوى الأساليب الحجاجية؛ لأنّها تُقدّم الحجة مصحوبة بالدليل، فالمعنى المكنّى عنه يأتي مؤكّدًا بالدليل عليه.

ويرى الخطّابي أنّ الكناية تحقّق وظيفة تداولية مهمّة من خلال إشراك المتلقي في عملية استنباط المعنى، ممّا يجعله أكثر اقتناعًا بالحقيقة المطروحة لأنّه وصل إليها بعقله، واهتدى إليها بفكره.

ويُقسّم الخطّابي الكناية إلى أنواع مختلفة بحسب وظيفتها الحجاجية، فالكناية عن الصفة تهدف إلى إثبات صفة معيّنة بطريقة مؤثرة ومقنعة، والكناية عن الموصوف تهدف إلى الإشارة إلى شيء معيّن دون التصريح به للتأدّب أو التعظيم، والكناية عن النسبة تهدف إلى إثبات علاقة معيّنة بين طرفين بطريقة لطيفة ومهذّبة.

لقد لاحظ الخطّابي أنّ القرآن الكريم يستخدم كلّ نوع من هذه الأنواع في السياق المناسب له، ممّا يُعظّم من تأثيرها الحجاجي، في الخطاب القرآني الذي يضع كل نوع من أنواع الكناية في السياق الذي يناسب ذلك المعنى، وهو يتلاءم مع الذي يسبقه، والذي يلحق بعده.

---

[1]- الخطّابي: بيان إعجاز القرآن، ص234.

[2]- ينظر، السيد أحمد الهاشمي: جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، مكتبة الإيمان بالمنصورة، القاهرة، 1999، ط1، ص271.

2/4- حُجية أسلوب الكناية في القرآن الكريم:

يُقدّم الخطّابي نماذج متنوّعة للكناية الحجاجية في القرآن الكريم، منها قوله تعالى: **"ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط"**[1]، حيث يُبيّن الخطّابي أنّ الكناية عن البخل والتبذير بـ"غل اليد" و"بسطها" تحمل حجة قوية في ضرورة الاعتدال في الإنفاق.

ويُؤكّد الخطّابي أنّ هذه الكناية تُحقّق تأثيرًا حجاجيًا مضاعفًا لأنّها تُقدّم الصورة الحسّية للمعنى المعنوي، ممّا يجعله أكثر وضوحًا وثباتًا في الذهن، وهي كناية عن الاعتدال في الانفاق، حيث لا يكون إسرافا وتبذيرا، ولا يكون تقتيرا ومنعا[2].

كما يُحلّل الخطّابي أيضا قوله تعالى: **"وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن"**[3]، مُبيّنًا أنّ الكناية عن العفة بـ"حفظ الفرج" تُعبّر عن المعنى بطريقة مهذّبة ومؤثرة في الوقت نفسه، حيث وضّح سبيل الحفظ بتجنب مقدمات الفعل.

وقد أكّد الخطّابي أنّ هذا النوع من الكناية يُحقّق هدفين حجاجيين مهمّين: الأول هو إيصال المعنى المطلوب دون إثارة الحساسية، والثاني هو تعظيم شأن العفة من خلال التعبير عنها بطريقة راقية ومحترمة، وهنا حقّقت الآية مبدا فقهي مهم ألا وهو سدّ الذرائع، إذ أكّد المعنى على التقليل من النظر؛ لأنه لا يمكن منعه بتاتا وذلك ما يشي به حرف الجر (من)، والمنع المغلّظ والمطلق من الوقوع في الفاحشة، حين حذف حرف الجر من العابرة **"ويحفظن فروجهن"**.

5- المحاججة بالمجاز العقلي والمجاز المرسل:

1/5- حجّية المجاز العقلي:

يُعرّف الخطّابي المجاز العقلي بأنّه: "إسناد الفعل أو ما في معناه إلى غير ما هو له لعلاقة مع قرينة مانعة من إرادة الإسناد الحقيقي"[4]. وقد أكّد أنّ المجاز العقلي في القرآن الكريم يُعدّ من أقوى الأساليب الحجاجية لأنّه يُعيد تشكيل العلاقات السببية بطريقة تُبرز الحقيقة المراد إثباتها.

ويرى الخطّابي أنّ المجاز العقلي يحقّق وظيفة تداولية مهمّة من خلال توجيه انتباه المتلقي إلى العلاقة الحقيقية بين الأسباب والنتائج، ممّا يُساعد على فهم الحكمة الإلهية من

---

[1]- الإسراء : الآية 29.
[2]- الخطّابي: بيان إعجاز القرآن، ص298.
[3]- النور : الآية 31.
[4]- الخطّابي: بيان إعجاز القرآن، 334.

الشريعة الإسلامية، ومقاصد آيات القرآن الكريم في تنظيم حياة الإنسان، من أجل حسن المعاد.

إذ يُحلّل الخطّابي قوله تعالى: **"فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِين"**[1]، حيث أسند المولى عزّ وجلّ الفعل "ربحت" إلى "التجارة" وهي لا تربح حقيقة، فالذي يربح هو التاجر نفسه، هذا مجاز عقلي لأن الإسناد مجازي وليس حقيقيًا، والعلاقة هي المحلية؛ لأن التجارة محل للربح، والربح يحصل فيها، والغرض البلاغي هو إبراز أن تجارة المنافقين بالكفر والنفاق خاسرة تمامًا، حتى أن التجارة نفسها لم تحقق ربحًا، مما يدل على فداحة خسارتهم وضلالهم، والمعنى الحقيقي المباشر هو فما ربح المنافقون في تجارتهم، لكن التعبير المجازي أبلغ وأقوى في التأثير، لكونه يُعمل العقل ويحرّك الفكر.

وهذا المجاز يحمل حجة قوية دامغة داعمة في إقناع المؤمنين بمواصلة أفعالهم واعمالهم الصالحة، وفي الوقت نفسه حجة داحضة لأعمال المنافقين والكافرين الخاسرة والمسيئة من خلال وضوح صورة الربح والخسارة بالتجارة وعروضها، ممّا يجعل الحجة أقوى في ميزان الحكم على العمال والجزاء عليها.

2/5- حجّية المجاز المرسل:

يُعرّف الخطّابي المجاز المرسل بأنّه "استعمال اللفظ في غير ما وُضع له لعلاقة غير المشابهة مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الحقيقي"[2]. وقد أكّد أنّ المجاز المرسل في القرآن الكريم يحمل وظائف حجاجية متنوّعة بحسب العلاقة التي يقوم عليها، فكلّ علاقة تُحقّق هدفًا حجاجيًا محدّدًا يتناسب مع السياق والمقام.

ويُقسّم الخطّابي علاقات المجاز المرسل إلى عدّة أنواع، منها السببية والمسبّبية والجزئية والكلّية والمحلّية والحالّية وغيرها، مُبيّنًا الوظيفة الحجاجية لكلّ منها، كما قسمه النحاة والبلاغيون الأوائل في مصنفاتهم المتنوعة.

ويُحلّل الخطّابي قوله تعالى: **"واسأل القرية التي كنّا فيها"**[3] مُبيّنًا أنّ المجاز المرسل علاقته المحلّية، حيث أُطلقت القرية وأُريد أهلها، والغرض الحجاجي من هذا المجاز هو تأكيد شهرة الخبر وانتشاره بحيث أصبحت القرية نفسها تعرفه وشاهدة عليه.

وقد أكّد الخطّابي أنّ هذا النوع من المجاز يُعدّ من أقوى الأساليب في الاستدلال؛ لأنّه يُحوّل الشاهد من الأشخاص إلى المكان، ممّا يعزّز من حجية الشهادة وقوّتها، بكثرة الناطقين بها والعارفين لها (كثرة الشهود) الذي يصل إلى حدّ كل سكان القرية.

---

[1]- البقرة: الآية 16.
[2]- الخطّابي: بيان إعجاز القرآن، ص398.
[3]- يوسف: الآية 82.

كما يُحلّل قوله تعالى: **"وينزّل لكم من السماء رزقًا"** مُبيّنًا أنّ المجاز المرسل علاقته السببية، حيث أُطلق الرزق على المطر باعتباره سببًا فيه، والغرض الحجاجي هو تذكير الناس بنعمة الله وفضله عليهم في كلّ قطرة مطر تنزل من السماء، وأن ما يسبّب له في الأرض من سبيل اتخاذ الأسباب لا غير، والأرزاق في السماء حصرا.

6- الاستراتيجيات التداولية لأدوات البيان:

1/6- استراتيجية السياق والمقام:

يُعدّ السياق من أهمّ العناصر التداولية في فهم النص وتفسيره، وقد أولى الخطّابي اهتمامًا خاصًا بدور السياق في تحديد معنى أدوات البيان ووظيفتها الحجاجية، ويرى أنّ فهم المقام ضروري لفهم المعنى المراد من استخدام أداة بيانية معيّنة، وأنّ تغيير السياق يمكن أن يؤدي إلى تغيير المعنى والوظيفة.

وقد أكّد الخطّابي أنّ القرآن الكريم يستخدم أدوات البيان بطريقة تتناسب مع السياق والمقام، ممّا يجعلها أكثر دقة وتأثيرًا في تحقيق الهدف المنشود من آيات القرآن الكريم، الذي جاءنا بالخبر والعبر فأمر ونهى، وقدّر ودبّر، فاللهم لك الحمد على الإسلام.

2/6- استراتيجية التدرّج في الإقناع:

يُعدّ التدرّج في الإقناع من أهمّ الاستراتيجيات التداولية التي وظّفها الخطّابي في تحليل أدوات البيان القرآنية، ويرى أنّ القرآن الكريم لا يعتمد على الإقناع المباشر فحسب، بل يستخدم أسلوب التدرّج الذي يأخذ بيد المتلقي خطوة بخطوة نحو الحقيقة المراد إثباتها. وقد أشار أيضا إلى أنّ هذا التدرّج يتحقّق من خلال استخدام أدوات البيان بطريقة متسلسلة ومتدرّجة، بحيث تُمهّد كلّ أداة للتي تليها وتُعزّز من تأثيرها.



يتّضح ممّا تقدّم أنّ الخطّابي قد تميّز في تناوله لأدوات البيان في إثبات الحجة القرآنية، حيث لم يكتف بوصف أدوات البيان وتصنيفها، بل سعى إلى كشف وظائفها الحجاجية وتأثيرها على القارئ، وقد اعتبر أدوات البيان آليات حجاجية متكاملة تهدف إلى الإقناع والتأثير، وأنّه وظّف استراتيجيات تداولية متنوّعة مثل مراعاة السياق والمقام والتدرّج في الإقناع لتحقيق أهدافه في إثبات الإعجاز القرآني.

حيث كان فهم الخطّابي لأدوات البيان متجاوزا للمفهوم التقليدي ليشمل البُعد التداولي، ممّا يجعل تحليله أكثر عمقًا وشمولية ممن سبقه في هذا المجال، وتُعدّ مثل هذه الدراسات مهمّة في فهم تطوّر الدراسات البلاغية والتداولية في التراث الإسلامي، وتفتح آفاقًا جديدة للبحث في مجال التداولية التراثية.

ثانيا/ توظيف أدوات البديع كآليات حجاجية:

اعتمد الخطّابي على مجموعة من الآليات البلاغية الحجاجية، ومن أبرز هذه الآليات الطباق والمقابلة والمفارقات المضمرة، كوسائل حجاجية فعّالة، في إثبات إعجاز القرآن الكريم، وذلك من منظور تداولي يُركّز على السياق التواصلي والقصدية في استعمال هذه الأدوات.

ولكون أدوات البديع في كتاب الخطّابي لم تكن مجرّد وسائل تزيينية أو جمالية، بل كانت آليات حجاجية مدروسة ومقصودة لإقناع المتلقّي بتفرّد النصّ القرآني وإعجازه، عمد هذا البحث إلى تحليل هذه الآليات من منظور تداولي يُراعي السياق التاريخي والثقافي لعصر الخطّابي، في إبراز دور أدوات البديع في تحقيق الإقناع والتأثير على القارئ.

1- وظائف أدوات البديع في التراث البلاغي العربي:

يُعرّف البديع في التّراث البلاغي العربي بأنّه "علم يُعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية المطابقة ووضوح الدلالة"[1].

كما عرف البلاغيون **علم البديع** بأنّه علم يُعنى بالمحسنات اللّفظية والمعنوية، لكنّهم أدركوا كذلك أن هذه المحسنات لا تكون تزيينية فحسب، بل قد تؤدي دورًا في الإقناع والإمتاع إذا جاءت في المقام المناسب .وهو ما أكده ابن وهب في كتابه البرهان حين قال: «المحسنات البديعية، إذا جاءت في محلها، زادت المعنى وضوحًا، وكشفت عن جلاء الفكرة» [2].

فالبديع عند الخطّابي يُمثّل مجموعة من الآليات التي تهدف إلى تعزيز قوّة الحجّة وإبراز تفرّد النصّ القرآني عن غيره من النصوص العربية. وقد أشار الخطّابي إلى أنّ "الإعجاز في القرآن يظهر من خلال نظمه البديع الذي يجمع بين الحُسن والقوّة والتأثير"[3]

إنّ المتأمّل في منهج الخطّابي يظهر له أنّه لم يقتصر على تصنيف أدوات البديع وفقاً للمعايير التقليدية، بل سعى إلى ربطها بالسّياق التّداولي والقصدية التّواصلية، فالطّباق مثلاً لا

---

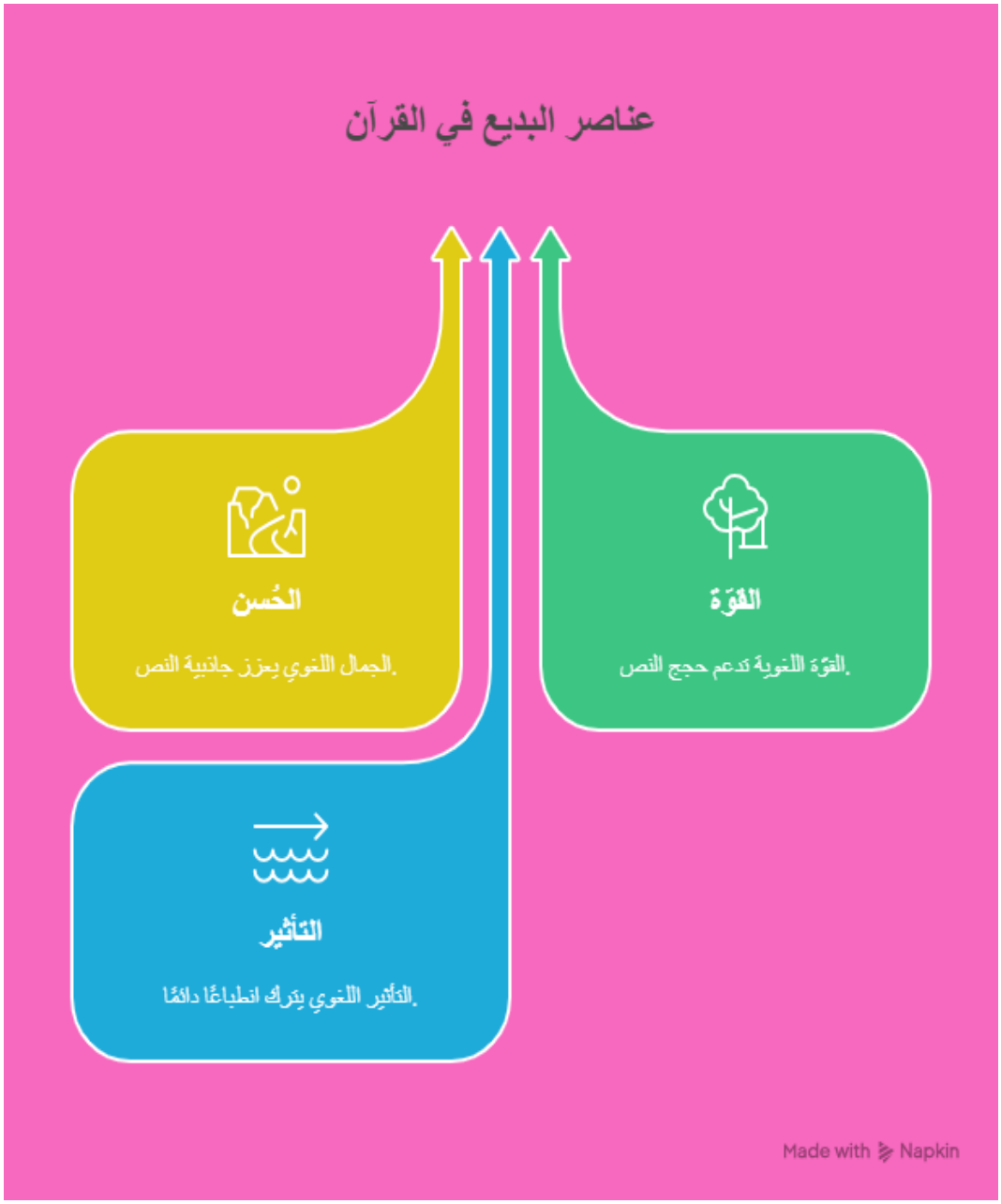
[1]- القزويني الخطيب محمد بن عبد الرحمن: الإيضاح في علوم البلاغة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،1999، ص287.

[2] - ينظر ابن وهب، أبو الحسين إسحاق بن إبراهيم بن سليمان .*البرهان في وجوه البيان* .تحقيق: حفني محمد شرف، مطبعة الرسالة، القاهرة، 1969م، ص100

[3]- الخطّابي: بيان إعجاز القرآن، ص23.

يُستخدم في القرآن لمجرّد التّحسين اللفظي، بل لتحقيق أهداف حجاجية محدّدة كإبراز التّضاد بين الحقّ والباطل أو إثارة انتباه المتلقّي إلى بنيات صراعية مهمة.

ويُؤكّد الخطّابي هذا الرأي بقوله: "إنّ البديع في القرآن مُوجّه لتحقيق مقاصد عليا في التّبليغ والإقناع"[1]. وهذا ما يُميّز نظرة الخطّابي عن نظرة البلاغيين المتأخّرين، الذين ركّزوا على الجانب الشكلي والجمالي للبديع دون الاهتمام بوظائفه التداولية والحجاجية[2]. والشكل التالي يرصد وظيفة عناصر البديع المعنوية في الخطاب القرآني:



[1]- الخطّابي: بيان إعجاز القرآن، ص67.
[2]- ينظرن عبد الرحمن طه: في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، سنة(2000م)، ص134.

1/2- الأدوات البديعية الأساسية وآليات توظيفها:

تتنوّع أدوات البديع التي استخدمها الخطّابي في تحليله لإعجاز القرآن، وتشمل الطّباق، والجناس، والسّجع، والمقابلة، والتضاد، وغيرها من الأدوات. وقد أولى الخطّابي اهتماماً خاصّاً بكيفية توظيف هذه الأدوات لتحقيق أهداف حجاجية محدّدة، وليس مجرّد تحسين لفظي.

ولذلك فإنّ الخطّابي ـ وهو من أوائل من نظّر للإعجاز ـ استعمل المحسنات البديعية توظيفًا تداوليًا حجاجيًا.

فعلى سبيل المثال، يُحلّل الخطّابي استخدام الطّباق في قوله تعالى: **"وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى"**[1]، حيث يُبيّن كيف أنّ هذا التّضاد يُبرز قدرة الله المطلقة على التّصرّف في أحوال البشر وإثارة مشاعرهم المتضادّة[2]؛ لأن أمره بين الكاف والنون.

وفي السياق نفسه، يُركّز الخطّابي على دور الجناس في تحقيق التّأثير الصوتي والدلالي في آن واحد، فالجناس في القرآن، وفقاً لتحليل الخطّابي، يُحقّق نوعاً من التّوازن الصوتي الذي يُعزّز من قوّة الحجّة ويُضفي على النصّ طابعاً موسيقياً مُميّزاً يُساعد على الحفظ والتّذكر والتأثير والفاعلية.

وهذا ما نجده في قوله تعالى: **"إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ"**[3]، حيث يُحقّق الجناس بين "نعيم" و"جحيم" تأثيراً صوتياً قوياً يُعزّز من دلالة التّضاد بين مصير الأبرار والفجّار، فطبيعة الحروف ومخارجها تساعد على توضيح المفارقة والتضاد، وتعزز من توضيح البون بين المصيرين المختلفين[4]. ويُؤكّد الخطّابي أنّ هذا التّوظيف المتميّز للجناس يُظهر مدى دقّة الاختيار اللفظي في القرآن وتفرّده عن كلام البشر[5].

3- البعد التداولي لأدوات البديع في منظور الخطّابي:

1/3- السياق التواصلي والقصدية في استعمال البديع:

يُعتبر السياق التواصلي (Communicative Context) من أهمّ العناصر التي ركّز عليها الخطّابي في تحليله لأدوات البديع في القرآن الكريم، فالقرآن ـ بحسب الخطّابي ـ نزل في سياق تاريخي محدّد يتطلّب استخدام أساليب حجاجية فعّالة لإقناع جمهور متنوّع من العرب الذين كانوا معروفين بفصاحتهم وبلاغتهم، ومستواهم اللغوي الراقي.

---

[1]- النجم: الآية 43.
[2]- الخطّابي: بيان إعجاز القرآن، ص89.
[3]- الانفطار: الآية (14/13).
[4]- الدّاية فايز محمد: علم البديع، دار الفكر المعاصر، دمشق، سوريا، سنة(1997م)، ص156.
[5]- ينظر، المطلبي غالب فاضل: البديع في النقد العربي. دار الحرية، بغداد، العراق، سنة(2003م)، ص78.

لذلك فإنّ استخدام أدوات البديع في القرآن لم يكن عشوائياً، بل كان مُوجّهاً لتحقيق أهداف تواصلية محدّدة تتناسب مع طبيعة المتلقّي وثقافته، ويُشير الخطّابي إلى أنّ "القرآن خاطب العرب بلسانهم وأسلوبهم، ولكنّه تفوّق عليهم في استعمال هذه الأساليب"[1].

وتظهر القصدية (Intentionality) في استعمال البديع من خلال الربط بين الشكل والمضمون، حيث تُساهم الأدوات البديعية في تعزيز المعنى المقصود وإيصاله بأفضل الطرق فعالية. فالاستعارة مثلاً في قوله تعالى: **"وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْباً"**[2]، لا تُستخدم لمجرّد التّشبيه، بل لإيصال معنى عميق حول انتشار الشيب في رأس زكريا عليه السلام بسرعة وشمولية تُشبه انتشار النار في الحطب[3].

وهذا ما يُؤكّد أنّ البديع في القرآن مُوجّه لتحقيق أهداف دلالية وحجاجية محدّدة، وليس مجرّد زخرفة لفظية، كما يعتقد بعض القراء[4].

2/3- تأثير البديع على المتلقّي وآليات الإقناع:

يُولي الخطّابي اهتماماً خاصّاً لدراسة تأثير أدوات البديع على المتلقّي، وكيف تُساهم هذه الأدوات في تحقيق الإقناع والتأثير، فالبديع - من منظور تداولي - يُحقّق نوعاً من التّفاعل بين النصّ والمتلقّي، حيث تُثير الأدوات البديعية انتباه المتلقّي وتُحفّزه على التّأمّل والتّفكير في المعاني المطروحة.

وهذا ما نجده في استخدام أسلوب الالتفات في القرآن الكريم، حيث يُحقّق هذا الأسلوب نوعاً من التّنويع في الخطاب يُجدّد نشاط المتلقّي ويُحافظ على انتباهه وتركيزه وتفاعله مع النص[5]. ويُؤكّد الخطّابي أنّ "التّنويع في أساليب البديع يُحقّق متعة فكرية وجمالية للمتلقّي، ممّا يُعزّز من قبوله للرسالة المُراد إيصالها"[6].

كما يُركّز الخطّابي على دور التّكرار كأداة بديعية حجاجية فعّالة، حيث يُساهم التّكرار في تأكيد المعاني المهمّة وترسيخها في ذهن المتلقّي، وهذا ما نجده في سورة الرحمن، حيث يتكرّر قوله تعالى: **"فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ"** إحدى وثلاثين مرّة، ممّا يُحقّق تأثيراً قوياً في تذكير المتلقّي بنعم الله وإثارة مشاعر الامتنان والخشوع[7]. ويُبيّن الخطّابي أنّ هذا التّكرار

---

[1]- الخطّابي: بيان إعجاز القرآن، ص112.
[2]- مريم: الآية 4.
[3]- ينظر، ابن قتيبة عبد الله بن مسلم: تأويل مشكل القرآن، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، سنة(1973م)، ص145.
[4]- ينظر، الجاحظ أبو عثمان عمرو بن بحر: البيان والتبيين، دار الهلال، القاهرة، مصر، سنة(1998م)، ج2، ص89.
[5]- ينظر، الزركشي بدر الدين محمد بن عبد الله: البرهان في علوم القرآن، دار المعرفة، بيروت، لبنان، سنة(1984م)، ج3، ص234.
[6]- الخطّابي: بيان إعجاز القرآن، ص156.
[7]- ينظر، الطبري أبو جعفر محمد بن جرير: جامع البيان في تأويل القرآن، دار هجر، القاهرة، مصر، سنة(2001م)، ج12، ص67.

ليس مجرّد تَكرار لفظي، بل هو تكرار مقصود يُحقّق أهدافاً حجاجية في إقناع المتلقّي بعظمة الخالق وضرورة الإيمان والتسليم[1].

ثالثا/ حضور الطباق والمقابلة والثنائيات الضدية المضمرة في بيان إعجاز القرآن للخطّابي:

اعتمد الخطّابي في تحليله لإعجاز القرآن الكريم على مجموعة من الأدوات البلاغية والبديعية التي تُظهر عظمة التركيب القرآني وجماليته، ومن أبرز هذه الأدوات البديعية التي اهتمّ بها الخطّابي في دراسته: الطباق، والمقابلة، والثنائيات الضدية المضمرة.

ويشتغل هذا المبحث على كيفية توظيف الخطّابي لهذه الأدوات البديعية في إثبات الإعجاز القرآني، وما هي الآليات التحليلية التي اعتمدها في استنباط هذه الأدوات من النصّ القرآني، وينطلق من فرضية مفادها أنّ الخطّابي لم يكتفِ بالرصد الشكلي لهذه الأدوات البديعية، بل تجاوز ذلك إلى تحليل وظائفها الدلالية والجمالية في السياق القرآني، مما يجعل منهجه في دراسة الإعجاز أكثر عمقًا وشمولية.

1- الطباق عند الخطّابي (آلية الكشف عن التناسق القرآني):

1/1- مفهوم الطباق وأنواعه في منهج الخطّابي:

يُعرّف الخطّابي الطباق بوصفه أداة بديعية تقوم على الجمع بين المتضادّات في السياق الواحد، وهو ما يُحدث نوعًا من التوازن الدلالي والإيقاعي في النصّ القرآني، وقد قسّم الخطّابي الطباق إلى نوعين رئيسيين: الطباق الظاهر والطباق المضمر، فالطباق الظاهر يكون واضحًا في اللفظ، مثل الجمع بين "الليل والنهار" أو "الحياة والموت"، بينما الطباق المضمر يحتاج إلى تأمّل وتدبّر لاستخراج التضادّ الكامن في المعنى لا في ظاهر الكلمات[2].

وهو يرى أنّ الطباق في القرآن الكريم ليس مجرّد زينة لفظية، بل هو آلية معرفية تُساعد على فهم طبيعة الوجود والكون من خلال إبراز التناقضات الظاهرية التي تنتظم في وحدة كلّية متماسكة، هذا المنظور يجعل من الطباق أداة كاشفة (Revelatory Tool) تُظهر عمق التفكير القرآني وشموليته في تناول قضايا الوجود والإنسان[3].

---

[1]- ينظر، السيوطي جلال الدين عبد الرحمن: الإتقان في علوم القرآن، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، سنة(1991م)، ج2، ص189.

[2]- ينظر، السكّاكي أبو يعقوب يوسف: مفتاح العلوم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، سنة(1987م)، ص421.

[3]- ينظر، الزركشي بدر الدين: البرهان في علوم القرآن، دار الفكر، بيروت، لبنان، سنة(1984م)، ج2، ص156.

2/1- التطبيقات القرآنية للطباق في تحليل الخطّابي:

يستشهد الخطّابي بعدّة نماذج قرآنية ليُثبت فعّالية الطباق في تحقيق الإعجاز البياني، ومن أبرز هذه النماذج قوله تعالى: **"وأنّه هو أضحك وأبكى، وأنّه هو أمات وأحيا"**[1]. حيث يُبيّن في هذا المثال الخطّابي كيف يُحقّق الطباق بين **"أضحك وأبكى"** و**"أمات وأحيا"** توازنًا دلاليًا يُظهر قدرة الله المطلقة على تحقيق الأضداد، مما يُعزّز من الأثر البلاغي للآية ويجعلها أكثر تأثيرًا في القارئ.

كما يشير الخطّابي إلى أنّ هذا النوع من الطباق يُحدث ما يُسمّيه "الصدمة الإدراكية التي تُجبر المتلقّي على التوقّف والتأمّل في عظمة الخالق في مخلوقاته[2]. ويُضيف الخطّابي أنّ الطباق في القرآن يتميّز بخاصّية فريدة وهي "التدرّج الدلالي (Semantic Gradation)"، حيث لا يكتفي بعرض الأضداد بل يُنظّمها في سلسلة متدرّجة تُؤدّي إلى معنى أعمق وأشمل وأدق، وهو ما يُميّز الأسلوب القرآني عن غيره من النصوص البلاغية قاطبة[3].

2- المقابلة في منهج الخطّابي (أداة التّوازن والتّماثل):

1/2- تعريف المقابلة ووظائفها التّعبيرية:

تُعرف المقابلة عند الخطّابي بأنّها أداة بديعية تقوم على مواجهة معنيين أو أكثر بمعانيهما المضادّة على وجه التفصيل والترتيب، وهي تختلف عن الطباق في كونها تتضمّن تفصيلاً أكثر وتنظيمًا أدقّ للعناصر المتقابلة.

وهو يرى أنّ المقابلة في القرآن الكريم تحقّق وظيفتين أساسيّتين: الوظيفة التنظيمية (Organizational Function) والوظيفة التأثيرية (Persuasive Function) فالوظيفة التنظيمية تتمثّل في قدرة المقابلة على تنظيم المعاني وترتيبها بطريقة تُسهّل على المتلقّي الفهم والاستيعاب، بينما الوظيفة التأثيرية تكمن في قدرتها على إحداث أثر نفسي قوي على القارئ من خلال التباين الواضح بين المعاني المتقابلة[4].

---

[1]- النجم: الآيتين (44/43).
[2]- ينظر، ابن الأثير ضياء الدين: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، سنة(1995م)، ج2، ص234.
[3]- ينظر، الجاحظ أبو عثمان عمرو: البيان والتبيين، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، سنة(1998)م، ج1، ص278.
[4]- ينظر، القزّويني جلال الدين: الإيضاح في علوم البلاغة، دار الجيل، بيروت، لبنان، سنة(1993م)، ص189.

ويُشدّد الخطّابي على أنّ المقابلة في النصّ القرآني لا تقتصر على التقابل اللفظي، بل تمتدّ إلى التقابل الدلالي والصوتي، مما يُحدث تناغمًا شاملاً يُساهم في تحقيق الإعجاز البياني[1].

2/2- النّماذج التّطبيقية للمقابلة في التّحليل الخطّابي:

يقدّم الخطّابي نموذجًا بارزًا للمقابلة من خلال تحليله لقوله تعالى: "**فأمّا من أعطى واتّقى وصدّق بالحسنى، فسنيسّره لليُسرى، وأمّا من بخل واستغنى وكذّب بالحسنى، فسنيسّره للعُسرى**"[2]. حيث يُوضّح الخطّابي في هذا المثال كيف تتحقّق المقابلة على مستويات متعدّدة: المقابلة بين "أعطى" و"بخل"، وبين "اتّقى" و"استغنى"، وبين "صدّق" و"كذّب"، وبين "اليُسرى" و"العُسرى".

وهذا التنظيم المحكم للمعاني المتقابلة يُحدث ما يُسمّيه الخطّابي "التوازن التعبيري " (Expressive Balance)الذي يجعل النصّ أكثر قوّة في التأثير وأوضح في الدلالة[3]. كما يُشير الخطّابي إلى أنّ هذا النوع من المقابلة يُحقّق "التمام المعنوي (Semantic Completeness) "، حيث لا يترك جانبًا من جوانب الموضوع دون تناول، مما يُظهر الشمولية والإحاطة في العرض القرآني للمعاني المرجوة من خطابه.

3- الثنائيات الضدية المضمرة:

1/3- مفهوم الثّنائيات الضدية المضمرة وخصائصها:

تُمثّل الثنائيات الضدية المضمرة (Implicit Binary Oppositions) أحد أبرز الإبداعات المنهجية في تحليل الخطّابي للنصّ القرآني، حيث يتجاوز التحليل السطحي للمتضادّات الظاهرة إلى الكشف عن المتضادّات الكامنة في بنية النصّ المعنوية والتي تحتاج إلى آليات تأويلية متطوّرة لاستخراجها.

يُعرّف الخطّابي هذه الثنائيات بأنّها تقابلات معنوية غير مُصرّح بها لفظيًا، ولكنّها حاضرة في السياق من خلال الإيحاءات والدلالات الضمنية، وهذا النوع من التحليل يتطلّب

---

[1]- ينظر، ابن رشيق القيرواني أبو علي الحسن: العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، دار الجيل، بيروت، سنة(1972م)، ج2، ص167.

[2]- الليل: الآيات (5-10).

[3]- ينظر، السيوطي جلال الدين عبد الرحمن: الإتقان في علوم القرآن، ج3، ص298.

ما يُسمّيه الخطّابي "القراءة العميقة (Deep Reading) " التي تتجاوز المعنى الحرفي إلى المعاني الإيحائية والرمزية[1].

ويُميّز الخطّابي بين ثلاثة مستويات للثنائيات المضمرة: المستوى الدلالي (Semantic Level)، والمستوى التركيبي(Syntactic Level) ، والمستوى الصوتي (Phonetic Level)، وكلّ مستوى يتطلّب أدوات تحليلية خاصّة به[2].

2/3- تطبيقات الثنائيات الضدية المضمرة في النموذج الخطّابي:

يستشهد الخطّابي بقوله تعالى: "**والضحى والليل إذا سجى**"[3]، كنموذج للثنائيات الضدية المضمرة، حيث يُبيّن أنّ التضادّ هنا ليس فقط بين الضحى والليل كزمنين متقابلين، بل يمتدّ إلى مستويات أعمق من المبنى الظاهر، فالضحى يرمز إلى الوضوح والانكشاف والحيوية، بينما الليل يرمز إلى الستر والهدوء والسكينة، وهذا التقابل الرمزي يُحدث توازنًا دلاليًا يُعبّر عن التكامل في الخلق الإلهي. ويُوضّح الخطّابي أنّ كلمة "سجى" تُضيف بُعدًا جديدًا للتضادّ، حيث تُظهر الليل في حالة السكون والهدوء، مما يُقابل حيوية الضحى وإشراقه ونوره[4].

وهذا التحليل يُظهر قدرة الخطّابي على استخراج المعاني العميقة من النصّ القرآني من خلال تتبّع الثنائيات المضمرة التي تُثري النصّ وتُضفي عليه أبعادًا جمالية ودلالية متعدّدة[5]. ويُضيف أيضا أنّ هذا النوع من التحليل يُساهم في فهم "الهندسة البلاغية " (Rhetorical Architecture)للنصّ القرآني، والتي تقوم على توازنات دقيقة ومحسوبة تُحقّق الإعجاز في أدقّ تفاصيله[6].

إنّ توظيف الخطّابي لأدوات البديع (الطباق، المقابلة، الثنائيات الضدية المضمرة) في إثبات إعجاز القرآن الكريم يتميّز بالعمق والشمولية والدقّة المنهجية، فقد تجاوز الخطّابي الوصف السطحي لهذه الأدوات إلى تحليل وظائفها الدلالية والجمالية في السياق القرآني، مما جعل من دراسته إنجازًا مهمًّا في تاريخ الدراسات البلاغية العربية.

وقد أظهرت هذه الدراسة أنّ الطباق عند الخطّابي ليس مجرّد زينة لفظية بل آلية معرفية تُساعد على فهم طبيعة الوجود، وأنّ المقابلة تحقّق التوازن التعبيري والتمام

[1]- ينظر، الجرجاني عبد القاهر: دلائل الإعجاز، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، سنة(1991م)، ص267.
[2]- ينظر، ابن سنان الخفاجي أبو محمد عبد الله: سر الفصاحة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، سنة(1982م)، ص198.
[3]- الضحى: الآيتان (2/1).
[4]- ينظر، الزمخشري محمود: الكشّاف عن حقائق التنزيل، دار المعرفة، بيروت، لبنان، سنة(1998م)، ج4، ص234.
[5]- ينظر، الرازي فخر الدين: التفسير الكبير، دار الفكر، بيروت، لبنان، سنة(1990م)، ج32، ص187.
[6]- ينظر، ابن قيّم الجوزية شمس الدين: الفوائد، مكتبة الرياض الحديثة، الرياض، السعودية، سنة(1994م)، ج2، ص145.

المعنوي، بينما الثنائيات الضدية المضمرة تكشف عن العمق الدلالي والهندسة البلاغية للنصّ القرآني.

وعليه يُمكن القول إنّ الخطّابي قد أسّس لمنهج متطوّر في دراسة البديع القرآني، حيث تجاوز النظرة التقليدية التي تُركّز على الجانب الجمالي والزخرفي للبديع، وطوّر نظرة تداولية شاملة تُركّز على الوظائف الحجاجية والتواصلية لهذه الأدوات.

وأنّ أدوات البديع في منظور الخطّابي تُمثّل آليات حجاجية مدروسة ومقصودة، تهدف إلى إقناع المتلقّي بتفرّد النصّ القرآني وإعجازه، وليس مجرّد وسائل تزيينية أو جمالية، وأنّ الخطّابي اعتمد على مبدأ السياق التواصلي والقصدية في تحليله لهذه الأدوات، ممّا يُضفي على منهجه طابعاً تداولياً متقدّماً يُقارب المناهج التداولية الحديثة. والشكل التالي يلخص أهم وظائف أدوات البديع في بيان الإعجاز للخطّابي:


تحليل الخطّابي لأدوات البلاغة
الدقّة المنهجية
نهج دقيق ومنظم
الطباق
استخدام الكلمات المتضادة لخلق التوازن
الشمولية
تغطية شاملة للمفاهيم
المقابلة
ترتيب متوازٍ للكلمات أو العبارات المتضادة
العمق
استكشاف المعاني المعقدة
الثنائيات الضدية المضمرة
أزواج متضادة ضمنية تعزز المعنى
Made with Napkin

خاتمة

الخاتمة:

بعد هذه الدراسة العلمية في كتاب "بيان إعجاز القرآن" لأبي سليمان الخطّابي من منظور تداولي، تبيّن أن هذا العمل الرائد يمثل نموذجاً فريداً في توظيف الآليات الحجاجية لإثبات الإعجاز القرآني، وقد تبيّن من خلال التحليل التداولي أن الخطّابي لم يكتف بالإشارة إلى جوانب الإعجاز، بل بنى خطاباً حجاجياً محكماً يهدف إلى إقناع المتلقي وحمله على الإذعان والتسليم بهذا الإعجاز.

حيث كشف عن ثراء النص الخطّابي بالآليات الحجاجية المتنوعة، التي تنوعت بين الآليات اللغوية والبلاغية، مما يدل على وعي عميق من المؤلف بأهمية البناء الحجاجي في تحقيق المقاصد التواصلية، فعلى مستوى الآليات اللغوية، برزت الروابط الحجاجية كعنصر أساسي في ربط الحجج وترتيبها منطقياً، حيث لعبت أدوات مثل "الأن" و"لكن" و"حتى" ولام التعليل والمفعول لأجله دوراً محورياً في توجيه القارئ نحو النتائج المرجوة.

كما أظهر التحليل أن العوامل الحجاجية مثل "إنما" والنفي والاستثناء قد وظفت بطريقة استراتيجية لتقوية الحجة وإضفاء طابع الحصر والتأكيد عليها،أما حجاجية الوصف، فقد تجلت في استخدام الأسماء المشتقة المختلفة (اسم الفاعل، اسم المفعول، اسم التفضيل، صيغة المبالغة، الصفة المشبهة) التي حملت في طياتها قوة حجاجية متميزة، إذ لم تكتف بالوصف المجرد بل تجاوزته إلى التأثير في المتلقي وتوجيه تفكيره.

أمّا على مستوى الآليات البلاغية، فقد أبرز البحث كيف وظف الخطّابي علوم البيان (التشبيه والاستعارة والكناية) ليس فقط لتزيين الكلام، بل كأدوات حجاجية فعالة تقرب المعاني المجردة من أفهام المتلقين وتجعلها أكثر تأثيراً ووضوحاً، فالتشبيه عنده لم يكن مجرد زينة بلاغية، بل وسيلة لتقريب الغريب من المألوف وتسهيل عملية الإقناع، والاستعارة بدورها حملت أيضا قوة تصويرية هائلة جعلت المعاني الخفية تتجلى في صور حسية مؤثرة، بينما الكناية أضافت بعداً دلالياً عميقاً يحمل في طياته الحجة والبرهان.

أما فنون البديع (السجع والجناس والطباق)، فقد تبين أنها لم تكن مجرد تحسينات لفظية، بل عناصر حجاجية مهمة تساهم في ترسيخ المعاني في ذهن المتلقي من خلال التناغم الصوتي والتقابل الدلالي، فالسجع أضفى على النص إيقاعاً موسيقياً يسهّل حفظه واستحضاره، والجناس خلق تناغماً لفظياً يلفت الانتباه ويثبت المعنى، بينما الطباق كشف عن التضاد الذي يبرز المعاني ويوضحها بالضد.

ويمكن القول إن "بيان إعجاز القرآن" للخطّابي يمثل نقلة نوعية في الخطاب النقدي العربي، إذ تجاوز المؤلف النظرة التقليدية للإعجاز القائمة على الوصف والتقرير إلى منهجية حجاجية متقدمة تستند إلى آليات تداولية واضحة. هذا الأمر يضع الخطّابي في مقدمة

الرواد الذين أسسوا لمنهج تداولي في دراسة النصوص الدينية، مما يكسب عمله قيمة استثنائية ليس فقط في مجال الإعجاز القرآني، بل في تاريخ الفكر النقدي العربي عموما.

لقد كشف التحليل التداولي عن وعي الخطّابي العميق بطبيعة العملية التواصلية وأهمية مراعاة السياق والمتلقي في بناء الخطاب، فقد نوّع في استراتيجياته الحجاجية بما يتناسب مع طبيعة كل موضوع ومقتضيات كل سياق، مما يدل على فهم عميق للبعد التفاعلي في الخطاب، وهذا التنويع في الآليات الحجاجية لم يكن عشوائياً، بل جاء وفق خطة محكمة تهدف إلى تحقيق أقصى درجات التأثير والإقناع.

إذ في ضوء المناهج التداولية المعاصرة، يتضح أن عمل الخطّابي سبق عصره في تطبيق مبادئ التداولية قبل أن تتبلور كنظرية مستقلة في الدراسات اللسانية الحديثة، هذا الأمر يكسب نصه قيمة منهجية استثنائية، إذ يمكن اعتباره نموذجاً مبكراً للتطبيق التداولي في التراث العربي، مما يفتح آفاقاً واسعة لإعادة قراءة النصوص التراثية من منظور تداولي معاصر.

وخلاصة القول، إن "بيان إعجاز القرآن" للخطّابي يقدم نموذجاً متكاملاً للخطاب الحجاجي المتقن، الذي يجمع بين الدقة العلمية والفعالية التأثيرية، فقد نجح المؤلف في بناء خطاب يحقق غايتين أساسيتين: الأولى علمية تتمثل في تقديم رؤية شاملة لجوانب الإعجاز القرآني، والثانية تداولية تتمثل في إقناع المتلقي والتأثير فيه من خلال توظيف الآليات الحجاجية بمهارة فائقة.

وهذا التّوظيف المحكم للآليات الحجاجية اللغوية والبلاغية لم يكن مجرد تقنيات شكلية، بل استراتيجيات عميقة تكشف عن فهم دقيق لطبيعة الخطاب وآليات التأثير فيه، وبهذا يمكن اعتبار عمل الخطّابي إنجازاً تراثياً مهماً يستحق الدراسة والتحليل من منظورات مختلفة، ونموذجاً ملهماً للباحثين المعاصرين في مجال التداولية والحجاج.

إن هذا البحث، وإن كان قد سلط الضوء على جوانب مهمة من البناء الحجاجي في نص الخطّابي، فإنه يفتح المجال لدراسات أخرى أكثر تخصصاً وعمقاً، تتناول جوانب أخرى من هذا النص الثري، وتكشف عن أبعاد جديدة من عبقرية هذا العالم الجليل في التعامل مع النص القرآني والبرهنة على إعجازه بمنهجية علمية رصينة وآليات حجاجية متقدمة.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

أولاً/ القرآن الكريم

- القرآن الكريم برواية ورش عن نافع.

ثانياً/ المصادر

1-الجرجاني، عبد القاهر :**دلائل الإعجاز في علم المعاني**، تحقيق: محمود شاكر، مطبعة المدني، القاهرة وفي طبعة أخرى: مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، 1991م.

2- الخطّابي، أبو سليمان حمد بن محمد :**بيان إعجاز القرآن**، تحقيق: محمد خلف الله أحمد ومحمد زغلول سلام، دار المعارف، مصر، ط3 (وفي طبعة أخرى: دار المعارف، القاهرة، 1976(

3- الرازي، فخر الدين :**التفسير الكبير**، دار الفكر، بيروت، لبنان، 1990م، ج32

4-الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله :**البرهان في علوم القرآن**، دار المعرفة، بيروت، لبنان، 1984م، ج3 (وفي طبعة أخرى: دار الفكر، بيروت، لبنان، 1984م، ج2(

5-الزمخشري، محمود :**الكشّاف عن حقائق التنزيل**، دار المعرفة، بيروت، لبنان، 1998م، ج4

6-السّكاكي، أبو يعقوب يوسف :**مفتاح العلوم**، تحقيق: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، 1987، ط1 (وفي طبعة أخرى: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1987م(

7-السّيوطي، جلال الدين عبد الرحمن :**الإتقان في علوم القرآن**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1974م، ج2، ط4 (وفي طبعة أخرى: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1991م، ج2(

8-السّيوطي، جلال الدين عبد الرحمن :**همع الهوامع في شرح جمع الجوامع**، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، 2000، ج1، ط1

9-الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير :**جامع البيان في تأويل القرآن**، دار هجر، القاهرة، مصر، 2001م، ج12

10-ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم :**تأويل مشكل القرآن**، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1973م

11-ابن يعيش :**شرح المفصل**، دار الكتب العلمية، بيروت، 2001، ج1، ط1

12-ابن الأثير، ضياء الدين :**المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر**، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، 1995م، ج2

13-ابن رشيق القيرواني، أبو علي الحسن :**العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده**، دار الجيل، بيروت، 1972م، ج2

14-ابن سنان الخفاجي، أبو محمد عبد الله :**سر الفصاحة**، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1982م

15-ابن قيّم الجوزية، شمس الدين :**الفوائد**، مكتبة الرياض الحديثة، الرياض، السعودية، 1994م، ج2

16-الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر :**البيان والتبيين**، دار الهلال، القاهرة، مصر، 1998م، ج2 (وفي طبعة أخرى: مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، 1998م، ج1(

17-القزويني، الخطيب محمد بن عبد الرحمن :**الإيضاح في علوم البلاغة**، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1999م (وفي طبعة أخرى: دار الجيل، بيروت، لبنان، 1993م(

ثالثا/ المراجع:

1-الدّاية، فايز محمد :**علم البديع**، دار الفكر المعاصر، دمشق، سوريا، 1997م

2-الرّافعي، مصطفى صادق :**تاريخ آداب العرب**، دار الكتاب العربي، بيروت، 1999، ج2، ط3

3-السّامرائي، فاضل :**بلاغة الكلمة في التّعبير القرآني**، دار عمار، عمّان، 2008، ط4

4-شاكر، محمود :**مداخل إعجاز القرآن**، مطبعة المدني- القاهرة، مصر، 2002، ط1

5-عبد التّواب، صلاح الدين محمّد :**النّقد الأدبي، دراسات نقديّة وأدبية حول إعجاز القرآن**، دار الكتاب الحديث، القاهرة، 2003

6-عبد الرحمن، طه :**اللسان والميزان أو التكوثر العقلي**، المركز الثّقافي، الدار البيضاء، 2012، ط3

7-عبد الرحمن، طه :**في أصول الحوار وتجديد علم الكلام**، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، 2000م

8-عبد العزيز، محمّد عديل :**الفكر اللّساني التداولي قراءات في التراث والحداثة**، جدارا للكتاب العالمي للنّشر والتّوزيع، الأردن، 2016، ط1

9-عمّار، أحمد سيّد محمّد :**نظريّة الإعجاز القرآني وأثرها في النّقد العربيّ القديم**، دار الفكر المعاصر، لبنان، 1421ه/ 2000م، ط1

10-المطلبي، غالب فاضل :**البديع في النقد العربي**، دار الحرية، بغداد، العراق، 2003م

11-حلّيس، الطّاهر :**اتّجاهات النّقد الأدبي وقضاياه في القرن الرابع الهجري ومدى تأثّرها بالقرآن**، منشورات جامعة باتنة، الجزائر، 1986

رابعا/ المجلات والدوريات:

1-حبيب، أعراب :**الاستدلال الحجاجي**، مجلة عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 2001، م30، ع1

2-سالم، رامي جميل أحمد :**آليات الحجاج في رسالة الخطابي بيان إعجاز القرآن**، المجلّة الأردنية في اللغة العربيّة وآدابها، 2024م، المجلّد 20، العدد1

3-الشّمري، ليلى محمّد حمد :**الخطاب الحجاجي في مؤلّفات علماء الإعجاز في القرنين الرابع والخامس الهجريين**، مجلّة البحث العلمي في الآداب، ديسمبر 2020، المجلّد 21، ع9، ج9

4-عماري، هدى :**جملة التّواصليّة**، جامعة المديّة، عدد خاص فيفري 2015

المجلات الأجنبية:

- Smith, A., & Brown, P.: **Cognitive and Emotional Dimensions of Persuasion**, Rhetoric Quarterly, 2015

خامسا/ الرسائل الجامعية:

رسائل الدكتوراه:

1- بانقيب، عبد الله عبد الرحمن أحمد :**مناهج التّحليل البلاغي عند علماء الإعجاز**، رسالة دكتوراه، جامعة أمّ القرى، السنة الجامعيّة 2007-2008

2-عماري، مالك :**الإعجاز والحجاج**، رسالة دكتوراه، جامعة ابن خلدون – تيارت، السّنة الجامعيّة 2017-2018

رسائل الماجستير:

سلطاني، سهيلة :**ملامح التّفكير التداولي في كتاب إعجاز القرآن للباقلاني**، مذكرة ماجستير، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، السنة الجامعية 2013-2014

سادسا/ المعاجم والقواميس:

1-ابن سيده :**المحكم والمحيط الأعظم**، دار الكتب العلمية، بيروت، 2000م، ط1

2-ابن فارس :**مقاييس اللغة**، دار الفكر، بيروت، 1991م

3-ابن منظور :**لسان العرب**، دار الحديث القاهرة، مصر، 2003، مج6 (وفي طبعة أخرى: تحقيق: عبد الله علي الكبير، محمد أحمد، وهاشم محمد الشاذلي، دار المعارف، القاهرة(

4-الجوهري :**الصّحاح**، دار الحضارة العربيّة، بيروت، لبنان، مج2، ط1 (وفي طبعة أخرى: الصّحاح في اللغة، دار العلم للملايين، بيروت، 1990م، ط4(

5-الراغب الأصفهاني :**مفردات ألفاظ القرآن**، دار القلم، دمشق، 2009م، ط4

6-الزبيدي :**تاج العروس**، دار الهداية، الكويت، 1994م

7-الفيروزآبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب :**القاموس المحيط**، تحقيق: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، 2005م، ط8

الفهرس

المحتوى	الصفحة
الشكر و العرفان	**-**
الاهداء	**-**
مقدمة	**7**
المدخل: الإعجاز بين النّقد والحجاج	**10**
الفصل الأوّل الآليات اللّغويّة	
أوّلاً الرّوابط الحجاجيّة	**19**
1- الرّابط الحجاجيّ (لأنّ)	**19**
2- الرّابط "لكنّ"	**20**
3- الرّابط "أمّا"	**20**
4- الرّابط الحجاجي (لام التّعليل)	**21**
5- الرّابط الحجاجيّ (حتّى)	**22**
6- الرّابط الحجاجيّ (المفعول لأجله)	**23**
ثانيا العوامل الحجاجيّة	**24**
1- العامل الحجاجي (إنّما)	**24**
2-العامل الحجاجي (النّفي والاستثناء)	**26**
ثالثا حجاجيّة الوصف (المشتقّات)	**26**
1- حجاجيّة اسم الفاعل	**27**

2- حجاجية اسم المفعول	**30**
3- حجاجية اسم التّفضيل	**32**
4-حجاجية الصّفة المشبهة	**33**
5- حجاجية صيغ المبالغة	**35**
الفصل الثاني آليات الحجاج البلاغيّة.	
أوّلا/ الـــبـيـــان	**40**
1- أدوات البيان في فكر الخطّابي	**41**
2- توظيف التشبيه كآلية حجاجية عند الخطّابي	**42**
3- توظيف الاستعارة كآلية حجاجية عند الخطّابي	**43**
4- توظيف الكناية كآلية حجاجية عند الخطّابي	**44**
5- المحاججة بالمجاز العقلي والمجاز المرسل	**46**
6- الاستراتيجيات التداولية لأدوات البيان	**47**
ثانيا/ توظيف أدوات البديع كآليات حجاجية	**50**
1- وظائف أدوات البديع في التراث البلاغي العربي	**50**
2- الأدوات البديعية الأساسية وآليات توظيفها	**52**
3- البعد التداولي لأدوات البديع في منظور الخطّابي	**52**
ثالثا/ حضور الطباق والمقابلة والثنائيات الضدية المضمرة في بيان إعجاز القرآن للخطّابي	**54**
1- الطباق عند الخطّابي (آلية الكشف عن التناسق القرآني)	**54**

2- المقابلة في منهج الخطّابي (أداة التوازن والتماثل)	**55**
3- الثنائيات الضدية المضمرة	**56**
الخاتمة	**61**
قائمة المصادر و المراجع	**64**
الفهرس	**72**
الملخص	

ملخص:

يهتم هذا البحث بدراسة الحجاج في كتاب "بيان إعجاز القرآن" للإمام أبي سليمان الخطّابي (ت 388هـ) من منظور تداولي، حيث يهدف إلى الكشف عن الآليات الحجاجية التي استخدمها المؤلف لإثبات إعجاز القرآن الكريم، إذ يُعد الإمام الخطابي من الأوائل الذين اهتموا بالإعجاز في القرآن بمنهج علمي منظم، وقد جاء أسلوبه في رسالته على شكل إيراد للاعتراضات والشبهات ثم ردها. وقد قسّم هذا البحث إلى فصلين رئيسيين: خصّص الفصل الأول للبحث في الآليات اللغوية والآليات البلاغية، أما الفصل الثاني فيهتمّ بدراسة الآليات البلاغية من خلال علمي البيان والبديع، حيث يسعى البحث إلى إبراز كيف وظّف الخطّابي هذه الأدوات اللغوية والبلاغية لبناء حجج مقنعة ومؤثرة في إثبات الطابع الإعجازي للنص القرآني، مما يجعل من كتابه نموذجاً متميزاً في الأدب الحجاجي العربي القديم ورائداً في تأسيس منهج علمي لدراسة الإعجاز القرآني.

Summary:

This research examines argumentation in the book "Bayān Iʿjāz al-Qurʾān" (Demonstrating the Inimitability of the Quran) by Imam Abu Sulayman al-Khattabi (d. 388 AH) from a pragmatic perspective. The study aims to reveal the argumentative mechanisms employed by the author to establish the inimitability of the Holy Quran. Imam al-Khattabi is considered among the first scholars to approach Quranic inimitability through a systematic scientific methodology. His approach in the treatise follows a pattern of presenting objections and doubts, then refuting them.The research is divided into two main chapters: the first chapter is dedicated to examining linguistic mechanisms and rhetorical devices, while the second chapter focuses on studying rhetorical mechanisms through the sciences of bayān (eloquence) and badīʿ (literary embellishment). The research seeks to highlight how al-Khattabi employed these linguistic and rhetorical tools to construct convincing and influential arguments in establishing the miraculous nature of the Quranic text. This makes his book a distinguished model in classical Arabic argumentative literature and a pioneer in establishing a scientific methodology for studying Quranic inimitability.